سلسلة تحقيق اشتراكية الثقافة

كتاب الشعب
2
1983

عروس الريف

دراسة لبعض مظاهر المأثورات الشعبيّة





عمر المزوغي

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

محمد يوسف الحريشي

عروس الريف

شمس يوسف التريكي

كتاب الشعب

عروس الريف

دراسة لبعض مظاهر المأثورات الشعبيّة

عُمَر المَزوغي

منشورات
المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

العدد 2 فبراير 1983

الطبعة الأولى

1392 و. ر — 1983 م

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

ص ب
959

صفاء يوسف ابو الليل اللبيب

الاهـــداء

الهـــدى دراســتى فى ثقافة الشعب

الى : الشعب ... راويها

وقــارئهـا ...

منه استقيتها ..

وله اهديهـا .

مقــدمة

عرفت الأستاذ « عمر المزوغى » أولاً فى مركز الفنون الشعبية فى القاهرة ، ثم التقينا معاً فى حلقـة المأثـورات الشعبية التى عقدت فى الجامعة العربية .

وكانت هاتان الفرصتان كافيتين لكى أتعرف على مدى الحماس الـذى يحملـه الأستـاذ عمـر المزوغـى للتــراث الشعبى ، وما يكنه له من حب ، يصل الى درجة العشق الذى يجعله لا يرى الا الجمال والشفافية فيمـن يحـب ، ولذا يصح أن نقول ان التراث الشعبى حسن فى عين كل من يود ، والأستاذ عمر هو المقصود « بمن يود » .

وقد أسعدنـى عندمـا أهـدى الى أولى دراستـه التـى قدّمـها للحلقة الدراسية التى أشرت اليها من قبل ، ثم

أسعدنى مرات عديدة عندما قدم الى بعض مؤلفاته ، وإذا بى اكتشف ان الاستاذ عمر المزوغى ، ليس عاشقاً للتراث الشعبى ، وليس جامعاً لهذا التراث فحسب ، بل هو شاعر أيضاً ، يصطنع أسلوب الفنانين الشعبيين فى الأبداع والتعبير ، حتى أننى بعد أن قرأت له بعض ابداعه ، أصبحت أخشى على التراث الشعبى من الأستاذ عمر . . فعندما تقرأ له شعره الشعبى لا تكاد تحس فارقاً ما بين هذا الشعر فى أسلوبه أو فى مضمونه أو القيم التى يعبر عنها ، وبين الشعر الشعبى الذى أبدعه مؤلفون مجهولون فى الصحراء أو فى الريف الليبى . . ولعلى لا أكون مغالياً اذا قلت ان هذا الشعر الذى يكتبه عمر المزوغى ربما يجده باحث ميدانى بعد سنوات متردداً على ألسنة الشعب . . . ولعل من سيرددونه لن يعرفوا أنه شعر عمر . .

لا اعرف فى الحقيقة اذا كنت أمدح عمر أو أقرر واقعاً . . فالفرق بين الاثنين ليس كبيراً . . المهم أنه جمع

فى قوس واحد بين حب البحث ، وملـكة الابـداع . . ولعلى أرجو ألا تختلط الملكتان ، ذلك أننا نخسر كثيراً إذا حدث ذلك . .

إننا ننتظر من عمر الكثير . . فتراثنا الشعبى سواء فى مصر أو فى ليبيا أو فى الجزائر أو فى سوريا أو الخليج العربى . . الخ . . تراث حى زاخر ثرى . . يحتاج الى المزيد من الجامعين والباحثين ، والذين يحبـون الشعـب العربى أينما كان . . ، قبل أن يسطـو عليه من يزيفونـه وينسبونه إلى أنفسهم من أجل ايجاد جذور أو أصول غير حقيقية يتكئـون عليهـا فى صراعهـم الحضـارى مع شعوبنا . .

تحية للاستاذ عمر المزوغى ، وتحية لكل محب للتراث الشعبى . .

القاهرة فى 10 يونيو 1974 — د . أحمد مرسى

كلمة المؤلف

هذا الكتاب الذى قدر له أن يرى النـور بعـد مضى أربع سنوات من تاريخ اعداده لحلقـة دراسـة العنـاصر المشتركة فى المأثورات الشعبية فى الوطـن العربـى التـى أقيمت تحـت اشراف المنظمـة العـربية للتـربية والثقافـة والعلوم بجامعة الدول العربية فى أكتوبر سنة 1971 م[1] وقد نشر ملخص لكل البحوث المقدمة من المشتركين فى هذه الحلقة ومن بينها ملخص لكتابى (عروس الريف)

---

(1) العناصر المشتركة فى المأثورات الشعبية فى الوطن العربى - مطبوع يحـوى 527 صفحة ، صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية - متضمنا ملخصات لكافة البحوث المقدمـة من الأعضـاء المشتركين بهذه الحلقة .

كما نشر جزء منه بمجلة الفنون الشعبية[1] التي تصدر بالقاهرة ، وقد كنت حريصاً على أن أتناول أكبر قدر ممكن من بعض مظاهر المأثورات الشعبية فى ليبيا غير عابىء بطريقة التبويب وتناول الظاهرة الواحدة بدون تعميم جانحاً بطريقة قيامى بهذه الدراسة الوصفية عن أساليب البحث المحكم هادفاً من وراء ذلك الى عملية التنبيه لهذه الظواهر وما يلتقى معها من فروع الآداب الشعبية قبل أن تقتلع عجلة التطور الحضارى جذورها من وجدان الرواة لتنال الاهتمام لدى الكتاب والباحثين فى معارفنا الشعبية لايمانى بأن كل فرع من هذه الفروع التى أشرت لها أو تناولتها بشكل موجز قد تستحق أكثر من دراسة وأكثر من كتاب كهذا الذى نبهت فيه للكثير من هذه الأنماط الحافلة بعادات الشعب وتقاليده ومعتقداته .

وإذا رأى البعض بأن هذا البحث أو هذا الكتاب لم

---

(1) مجلة الفنون الشعبية ـ العدد(17) وهى مجلة تصدر كل ثلاثة أشهر عن وزارة الثقافة بجمهورية مصر العربية .

يصل للمستوى المطلوب فيكفى اشارتى للتعمد فى التعميم أو التوسع فى رصد (الظواهر « الفولكلورية ») المتداولة بين جموع شعبنا العربى فى ليبيا .

كما يجب الاشارة الى أن هناك الكثير من دارسى المأثورات الشعبية لا يزالون غير محددى الاتجاه والأفكار فيما يدرسون من نصوص الأدب الشعبى ، بل ومن الجائز القول أن معظم أو بعض هذه الدراسات فى أقطارنا العربية عائمة الأهداف ، مبعثرة النقاط ، ينقصها التحليل العلمى والوضوح فى المنهج واختيار الموضوع والتركيز المطلوب ، فالبحث فى أي فرع من فروع المعارف الانسانية أو الدراسة العلمية فى أي منها متى فقدت منهجاً مالت وابتعدت عن خط سيرها وقلت قيمتها وأصبحت جدلاً كلامياً واهياً قد يسوقك الى أطراف الموضوع ولكنه لا يقترب بك من النتيجة ولا يقوى على الخوض فى الصميم ولا الغوص فى أعماق كنه الشيء المراد مناقشته أو مقارنته أو الالمام بأبعاده ولا

يستطيع كاتبه الاتيان بجديد أو الاضافة لما كتبه سابقوه من الكتاب والباحثين فى هذه المجالات ، هذا مع الاعتزاز بجودة القليل من هذه الكتابات فى دراسة عاداتنا وتقاليدنا ومعتقداتنا وأدبنا الشعبى والتى تكاد أن تقترب بنا فى كثير من محاولات أصحابها من التحليل السليم والبحث القيم المتعمق والتى دلت على مدى المام ومعرفة كاتبيها بأصول علم المأثورات الشعبية ومدى قدرتهم على الارتقاء بأبحاثهم الى أرقى مستوى الدراسات العلمية لدى باحثى وعلماء هذا الفرع من العلوم الانسانية فى جامعات ومعاهد تهتم بثقافة الشعب أو اسست أصلاً لتأهيل طلاب هذه العلوم ، الا أننا لا نزال نطمع فى المزيد من عطاء هؤلاء الباحثين الجيدين فى وطننا العربى ونطمح للوصول لتحديد نوعية وكيفية المنهج أو المناهج التى تعارفت عليها الجامعات والمعاهد التى أوردنا ذكرها منذ قليل سواء بالتعريب أو محاولة التقريب بين هذه النظريات والمناهج المتبعة فيها واطار

آدابنا الشعبية بوجه عام لكى تتناسب مع كيفية البحث فيها .

وإذا حاولنا أن نجتاز مرحلة المناقشة حول ما هى أهمية اجراء مثل هذه الدراسات فى ثقافة الشعب باعتبار أن هذه المناقشة قضية قد أخذت أكثر من حقها فى الحوار والجدل الطويلين وبات من بديهيات الأمور ضرورة وجود مثل هذه الدراسات لأنها قد أصبحت حتمية تقرها سنة الاخذ بناصية عصر التقدم العلمى فى جميع ما يتصل بالانسان وما يحيط به من مظاهر الحياة والطبيعة ، فيبقى لنا رأى يجب أن يقال وهو حتى وان كانت هناك جهود تبذل الآن لارساء قاعدة علمية تساعد العاملين فى مجال البحث الميدانى وتنظم كيفية جمع النصوص وما يتطلبه الأمر عند لقاءات الباحثين بالرواة مثل كتاب (الدراسة العلمية للعادات والتقاليد)(1) وبحث (جمع العناصر

---

(1) كتاب (الدراسة العلمية للعادات والتقاليد) ـ كتاب يتناول كيفية الالتقاء بالرواه وتوجيه الأسئلة التى تغطى دورة الفرد فى الحياة من الميلاد الى الوفاة وقد تصل الأسئلة الى (948 سؤالا) ـ قام باعداده الاستاذ الدكتور محمد الجوهرى ، عبد الحميد حواس ، دكتورة علياء شكرى .

الشعبية)[1] وبحث (مشروع انشاء مركز عربى للفنون الشعبية)[2] باعتبار أن المركز أو مراكز الفنون الشعبية هى اشارة الانطلاق للبدء بهذه الدراسات أو القيام بهذا العمل وفق الطريقة العلمية فإن القصور يبدو واضحاً فى عدم السعى لتحديد نوعية المنهج أو مناهج الدراسة العلمية للمأثورات الشعبية .

وهذه ليست مسئولية العلماء العرب البارزين فى هذا المضمار بقدر ما هى مسئولية الحكومات التى يجب أن تحتضن أعمال هؤلاء الأساتذة بتكليفهم باعداد ذلك لأنه بحق عمل يستحق الاهتمام من هذه الحكومات لكونه يستحيل انجازه بالجهد الفردى وعلى كاهل أصحابه مع ما

(1) بحث (جميع العناصر الشعبية) قام باعداده الاستاذ صفوت كمال ونشر ضمن البحوث التى قدمت للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية سنة 1971 .

(2) بحث (مشروع انشاء مركز عربى للفنون الشعبية) قدمه للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الدكتور عبد الحميد يونس ونشر مع مجموعة البحوث المقدمه .

يكلفهم من جهد ووقت وامكانيات قد تكون فى أغلب الأحيان أكثر مما يحتملون خاصة من الناحية المادية ، وهذه رسالة تفرض علينا روح العصر تأديتها لأن هذه الآداب وهذه المعتقدات والسلوك تكشف لنا روح الشعب ونستشف من خلالها تفكيره وآلامه وآماله ، أفراحه ، وترصد لنا الظواهر الاجتماعية التى تطرأ على بعض جماعاته أو أفراده .

ولأن الدراسة فى المأثورات الشعبية هى عامل مساعد ، ومتصل بالدراسات الاجتماعية .

ولأن الاهتمام بثقافة الشعب وبما يصدر عن الشعب هو فى الحقيقة مواكبة طموح الانسان .

ولأن الانسان هو الوطن ، وهو القومية وأساس الكيان فى دنيا العمل والخير وتاريخ الخلود ، فالاهتمام بما يصدر عنه من أمثال وأغانى وأحاجى وسير وملاحم ومعتقدات وسلوك ضرورة لا جدال فيها .

وبعد . . .

فهذه خواطر عابرة ، أو ملاحظات بسيطة قد لا تصل لمستوى الكتابات العلمية وقد تشبه الى حد ما المقالة الصحفية اليومية ، ولكنها فى كلتا الحالتين لا تنعدم فائدتها عند مجمع القراء الكرام ، فحاولت أن أدونها وأنا أقدم اليهم هذا الكتاب . . هذه المحاولة البسيطة ، وهى تعريف وتدوين لبعض الأغانى الشعبية فى المناسبات التى يحتفى بها الشعب وهى مناسبات (الميلاد ـ الختان ـ الزواج) وكذلك التداخل بين الأدب الشعبى والمعتقد وكيف يؤدى كل منهما غرضا للآخر ، وكيف ضمنت له هذه الوظيفة البقاء والانتشار كما أشرت لما يصحب الممارسة اليومية من تعاويذ وكلمات تنطلق من أفواه أصحابها عفوية فى صيغة كلمات وتمتمات منغمة أو ترانيم أو أفعال مستترة وظاهرة تهدف أساسا الى تحقيق هدف للفرد أو الجماعة ..

وقد أوضحت ما هى الاسطورة من خلال ما كتب عنها ، كذلك تضمن هذا الكتاب همسة لوسائل الاعلام

العربية والجامعة العربية وما يجب أن تؤديه نحو المأثورات الشعبية كما أشرت لما ينبع من البيئة من أدب تمجه الطباع ، ولكنها تمنحه الطابع وتقره المناسبة وتفرضه فرضا على العرف الاجتماعى وتتقبله الجموع ويختفى ويتجدد كلما آن أوان مناسبته .

عزيزى القارىء . . .

بعد أن ذكرت لك هذه الأبواب التى تناولتها ، لعلك تتساءل هل غطت كتاباتى هذه ركنا من أركان المعرفة الشعبية الواسعة وتناولت كل حلقاتها ذات الرنين الساحر ؟ هل حركت ريشة قلمى وترا من أوتارها الحساسة . ؟ وأقول صادقا . . هذا لكتاب « هذا البحث » كما قال الاستاذ على مصطفى المصراتى وهو يقدم كتابه « المجتمع الليبى من خلال أمثاله الشعبية » : (لقد أردت أن أسهم فى هذا الميدان بسهم . . فوجدت الأدب الشعبى بحرا عميق الغور . . وواحة وارفة الظلال . . ورحابة فسيحة تحتاج الى مواصلة الجهد) .

وبحثى هذا . . قطرة من بحر زاخر . . لمحة من دنيا الشعب العريضة الحافلة بألوانها الزاهية . . سطور ووريقات لا تفى بأن تكون عناوين صغيرة لجانب من المعرفة الشعبية . . كلمات وأى كلمات . . سطور وأى سطور . . انها لا تساوى شطرة من ملحمة شعرية يسردها شاعر جوال بين جموع البادية ينشدهم صمود أبطالهم ويعدد شيم وكرم عروبتهم وابائها . . يشدو الى ما حوله ويعطيهم من فنه الشعبى ما لا يعطيه رائد للفن الحديث من حيث الاصالة والتأثير .

هذا الكتاب جهد متواضع . . دراسة وصفية . . فكرة صغيرة عن بعض عاداتنا ومعتقداتنا وأدبنا الشعبى . . ولعلك تتساءل مرة أخرى ، هل يعرّف الشعب بأدبه وهو النابع منه ؟ . . ولعله أقرب الى الجواب الصحيح . . اننا نحاول الغوص الى الاعماق . . أعماق الشعب . . لا نحفل بالقشور . . لا يبهرنا المظهر . . بل نبحث عن الجذور . . عن

الجوهـــر . . عن روح الشعـــب الشفافـــة ومعدنـــه الأصيل . . نستشفها من سلوكه وعاداته ومعتقداتـه . . ان هذه الدراسة الوصفية أو البحث عند البدء فى اعداده دعتنى الضرورة الى الرجوع لبعض المؤلفات عن الفترة التاريخية القديمة لمعايشة مجتمعنا الليبى من خلال ما كتب عنـــه . . وذلك لاستنتـــاج صـــيرورة بعض الظواهـــر (الفولكلورية) لكى أجـد الاجابـة لبعض التسـاؤلات المستنتجة من فحوى المادة المدونـة من الـرواة . . وقـد انحصرت قراءاتى لبعض الكتب التى تعشمت أن أجد بين طياتها وصفا مدونا « للفولكلـور » الليبـى بجوانبـه المتعـددة . . لكى تكون هذه المراجـع التـى تصفحتهـا عاملا مساعدا لى فى التحضير لهذا الكتاب .

فالكتابات التى تناولت الحياة الاجتماعية معظمها غير مترجمـــة ، فلـــم أبحـــث عنهـــا ولـــم أستفـــد منها .

ولقد بدأت بالاطلاع على كتـــاب « عشر سنـوات فى

بلاط طرابلس »(1) ، وهو عبارة عن مجموعة رسائل لكاتبة انجليزية مكثت بمدينة طرابلس من سنة 1783 الى 1793 م ولقد لمست من الوهلة الأولى وأنا أتصفح هذا الكتاب من أنه قد اصطبغ بالصبغة التاريخية للحياة السياسية أكثر منه وصفا لحياة الشعب ، فهو عكس ما كنت أظنه بأنه سجل كل نبضات حياة الشعب خلال الأيام والسنوات التى مرت بالكاتبة فوق هذه الأرض . ومع ذلك فقد تابعته سطرا بسطر ، وحرفا بحرف . وكلما وجدت اشارة - ولو بسيطة - للمأثورات الشعبية ، توقفت عندها . فالكاتبة بين الحين والآخر نجدها تعطينا فكرة عن بعض ملامح الفولكلور بطريقة غير مباشرة الا أن تعرضها لهذه الناحية جد بسيط لا يذكر .

ومن الامور المتفق عليها لدى باحثى وعلماء

---

(1) كتاب « عشر سنوات فى بلاط طرابلس » مجموعة رسائل لكاتبة انجليزية عاشت بمدينة طرابلس ، وقد أرسلت رسائلها لشخص مجهول بأوروبا من سنة 1783 حتى سنة 1793 ونشرت هذه الرسائل فى الكتاب المذكور .

الفولكلـور . . أن كتـب الرحالـة والمؤرخـين وعلماء الاجتماع والرسائل الوصفية قد تحوى مادة قيمـة خاصـة وأن الأزمان الغابرة ينـدر فيهـا عثورنـا على ما يساعدنـا وينمى معلوماتنا فى هذا المجال مما يعطى لكل ما له صلة بتدوين أو شرح لحياة الشعب القديمة قيمة لا يستهان بها لدى الباحثـين والدارسـين والمؤرخـين ، اذا كان هذا التدوين أو هذا الشرح متعلقا بحياة الشعب بأدبه أو فكره أو ظروفه الاجتماعية .

مع مراعاة أن ننظر بعين الحذر لمثل هذه الكتابات لأنها لا تخلو من السموم فقد قام بها بعض من أخفوا أهدافهم الاستعمارية وراء هذه الكتابات .

ثم تناولت كتاب « قراءات ليبية » للاستاذ على فهمى خشيم . . وهو دراسة قيمـة ويمـكن أن يفيد كل دارس متعمق فى التاريخ والفنون الشعبية ، لو دقق وبحث هذا الدارس عن الكتب والبحوث التى تغطى الفترة التى لم يتناولها كتاب قراءات ليبية لأنه قد تناول فترة عميقـة فى

البعد الزمنى ولم يغط الفترة الى ما دونها ، ونأمل من صاحب هذا القلم الباحث الجاد مواصلة عطائه الفكرى الرصين . وقد أشرت بعض الاشارات لكتاب الاستاذ محمد سعيد القشاط « الأدب الشعبى فى ليبيا » وهو أحد المهتمين بالتراث الشعبى والمنادين بالاهتمام به ، وكتاب « المجتمع الليبى من خلال أمثاله الشعبية » للاستاذ على مصطفى المصراتى .

ومع ذلك نستطيع القول بأن الكتب التى عنى أصحابها بالبحث والدراسة فى مجالات الآداب الشعبية قليلة . . ويجدر بنا أن نشير هنا الى ما قيل عن هذا العلم .

« ان الفولكلور قد أصبح علما تاريخيا منذ سنين عديدة ، واستقرت مناهج بحثه التى تتيح من وسائل الفحص والتيقن ما تتيحه طرائق البحث فى العلوم الأخرى ، ولعله يؤلف مع العلوم الأخرى آفاق معرفتنا بحياة الانسان الغابرة وينبنى على هذا أن ينتحل

الفولكلور مرتبة العلم الممهد مجهول المؤلف والبدائية شبه العلمية بالنسبة لأى من العلوم الأخرى » .

هذه لمحة بسيطة من كتاب « علم الفولكلور »[1] .

ولعل هذا الكتاب ، وهذه الترجمة، وغيرها من الكتب والجامعات التى أصبحت تعطى مكانا لهذا العلم ومراكز الفنون الشعبية التى تعنى بأدب الشعب وبجمعه وتصنيفه وبحثه ودراسته تنبهنا أو تشحننا بحافز الاهتمام بالمأثورات الشعبية فى ليبيا والذى أهمل الى يومنا هذا جمعها والبحث فيها ، وقد كان الاهمال وعدم الالتفات للأدب الشعبي سابقاً مقصوداً من قبل الاستعمار والحكومات الموالية له حتى يبتعد الشعب عن طابعه وخصاله وتراثه وعن المعين الذى لا ينضب ، وبالتالى يتوه عن نفسه ومقوماته العربية الاسلامية الأصيلة اذ أنه قلما يعثر الباحث عن الأبحاث التى تتناول لونا من ألوان

(1) كتاب « علم الفولكلور » تأليف (ألك زندر هجرتى كراب) سنة 1959 والذى ترجمه الاستاذ (رشدى صالح) بالقاهرة سنة 1967 م .

المأثورات الشعبية في ليبيا ، وان وجدها ، فلا يجد تلك الدلالات التى تبرز له بوضوح جل النقاط المحددة المستخلصة من الاجابات التى ركزها الباحث الأول نتيجة ما وضح أمامه من تساؤلات فى طى أو جوانب المادة التى تناولها الباحث بقصد الدراسة المقارنة أو التحليلية الأكاديمية المتعمقة المستوفاة لكل الشروط لكى يستطيع الانطلاق من النقطة الأخيرة التى وقف عندها الباحث الأول ، اذا ما أراد الخلف استكمال ما لم يأت به السلف أو لتكون له هذه الأعمال السابقة مرجعاً مساعداً وهو قائم بدراسة مجال ما زال بكراً لم يتعرض له غيره من قبل .

ولنذكر هنا بايجاز ما يجب التلميح اليه على مدى استفادة أى باحث مما سبقه من بحوث ولو لم تكن فى صلب الموضوع المتعرض له والعاكف على استقصاء أبعاده . خاصة فى فنون الشعب المتصلة المتشابكة .

وقد رأى الكثير من الباحثين بأن تعدد مجالات

« الفولكلور » وفروعه المختلفة لا توحي لنا بأنه غير مكمل لبعضه البعض ، بل هو وحدة متكاملة . فقد نجد الأدب الشعبى فى المعتقد ، كما نجد الرقص والعلامات الحركية فى الموسيقى الشعبية والمعتقد فى الأدب الشعبى ، فالأغانى مثلا التى تترنم بها النساء عند طهارة الطفل (الختان) وان كانت تسمى أغان الا أنها كالتعويذة اذا نحن أمعنا ودققنا فى محتواها وطابعها ، وهى منتشرة لدى معظم مواطنى ليبيا .

ومن خلال العمل الميدانى الذى قمت به فى كل من بلدة الجوش(1) ومختارية المعايفة* ـ محافظة غريان ـ وبلدة

---

(1) « الجوش » بلدة صغيرة بها واحة نخيل يسكنها حوالى 1500 نسمة وتبعد مسافة 196 كم غربى مدينة طرابلس ، بها اطلال لمدينة قديمة محوطة بسور يقى ساكنيها من الغزوات قديما حسب قول الرواة ، لا تزال بها عيون ينبع منها الماء وينحدر تجاه أشجار النخيل ، وكانت مجموعة هذه العيون حوالى 40 الا أنها غطتها غرود الرمال ولم يبق سوى عدد قليل ، والزائر لبلدة الجوش والمتجه اليها من مدينة طرابلس يمر ببلدة العزيزية ومسافتها 40 كم =

الزيغن(1) وأقار(2) والزوية(3)ـ محافظة سبها ـ ومن محور الحديث الذى دار بينى وبين المعمرين والشباب فى هذه الأماكن المذكورة وغيرهم ممن نشأت بينهم وتربيت فوق تربتهم الطيبة ، نستطيع أن نشير الى ما دونته وما التقطه لاقط الصوت بأن نقول هذه عاداتنا وتقاليدنا وحكاياتنا الشعبية وشعرنا الشعبى ، وأغانينا ومعتقداتنا ، بل هذا شعبنا العربى فى ليبيا بدمه ولحمه ، كلمات دونتها ، واجابات تلقيتها وأغان وأحاج سجلتها من أفواه الناس

= على طرابلس ويمر ببير الغنم 90 كم على طرابلس ، وبعده قصر الحاج تبعد مسافته عن طرابلس 142 كم وهو واحة نخيل صغيرة يسكنها حوالى 13417 نسمة وسمى قصر الحاج نسبة لمشيده الحاج عبد الله عمر أبو جطلة منذ أجيال مضت ولا زالت اطلال هذا القصر قائمة بها مائة وأربع عشرة غرفة .

* « مختارية المعايفة » غربى مدينة غريان بمسافة 29 كم .

(1) « الزيغن » هى القرية التى ضمت ضريح الولى الصالح الشاعر الليبى الذائع الصيت سيدى قنانة .

(2) « اقار » احدى واحات النخيل بضواحى مدينة براك .

(3) « الزوية » احدى القرى الكبيرة بجوار مدينة براك وتبعد عنها بحوالى 3 كم بها واحة نخيل وضريح الولى الصالح سيدى الزوى .

الحاملة لهذا التراث ومصدر الابداع لهذه المأثورات الشعبية .

لقد كانت حصيلة العمل الميدانى دليلا قاطعا على صدق النظرية القائلة : « معايشة الجماعة حجة الصدق » للكاتب فيما ينقله عنهم أو يصفهم به ، كما وأن هناك أشياء أوحت الى بها هذه المعايشة وهذه اللقاءات وهى أن سر صيرورة بعض ألوان الأدب الشعبى هى نتيجة انتشاره . ونتيجة انتشاره أنه يؤدى غرضا قد اتفق عليه عامة الشعب أو مجموعة من هذه المجموعات وارتبط بسلوكهم أو عاداتهم ومعتقداتهم فالمناطق التى زرتها تفصل بينها مسافات شاسعة قد تصل الى الألف ميل من طرابلس الى سبها أو بنغازى وغيرها من المحافظات ولكنهم لا يختلفون فى كثير من عاداتهم المتبعة والتى يمارسون فيها تقاليدهم وعرفهم الاجتماعى وتشتمل على النص الشعرى والعادات والمعتقدات والتصور الدينى .

وأتمنـــى أن أكون قد وفقـــت فى هذا الجهـــد المتواضع . . .

طرابلس 71/ 5/ 15

الأدب الشعبى فى حياتنا

لقد لمس دارسو التراث الشعبى حقيقة ثابتة وهى أن الكلمة الشعبية تستطيع دوما أن تؤدى دورها فى بناء الحياة .

لقد كان الجدل قديما يدور حول ما هى وظيفة الأدب الشعبى الحقيقية ؟ واختلفت حوله الآراء ووجهات النظر . . هناك من يقول : انه وجد لملء الفراغ ، وهناك من يقول بانه وجد لتأدية طقوس دينية أو عقائد وتصورات كان يؤمن بها الانسان فى العهد القديم وفى أى بيئة من البيئات النابعة منها هذه الفنون كالمثل والحكاية الشعبية أو القصيدة الزجلية وغيرها من أنماط التعبير

والمعتقدات ، وبتطور هذه الدراسات فى الثقافة الشعبية تأكد للكثيرين بان هذا الفن الشعبى الذى أصبحت تنقله لنا وسائل الاتصال بعد أن كان هو وسيلة الاتصال عندما كان الشاعر الجوال يجوب المدن والأرياف لايصال أدبه للناس ، يتحمل مشقة التجوال لبث ما تجود به قريحته للمتلقى ، كان يقوم مقام وسائل الاعلام بمختلف ألوانها ، ولم يكن سر صيرورته وانتشاره عبر المكان والزمان لأنه يؤدى وظيفة ملء الفراغ فحسب ، بل لأنه كان هادفاً وموجهاً وناقداً وحاثاً على كل ما هو نافع ومجد ، داعياً لارتباط الانسان بالأرض وحاثاً على تماسك الأسرة والقيم النبيلة . لقد كان ولا يزال أدباً وتشريعاً وسلوكاً واعتقاداً اذا ما نظرنا لكل فروعه وتفريعاته المتضمنة للعادات والتقاليد والمعتقدات والعرف الاجتماعي .

والظاهرة الحسنة حقا أن ينال هذا الفن اهتماما كبيرا فى الآونة الأخيرة من قبل الدارسين ووسائل الاعلام .

واذا حاولنا أن نعـرف الأدب الشعبـى أو أن نعـرف بمكانته فى حياة الشعب يجب أن نتجاوز ما نشر عنه من كتابات وما قيل فى هذه الكتابات من انـه سجـل يبـرز ملامح التاريخ ومرآة لعقلية الشعب وحماس ألهب مشاعر المجاهدين فى أيام الكفاح ، الى أنه أيضا شىء أبعد من ذلك كله فهو جزء من نبض الحياة فينا ممتـزج بتفكيرنـا مرتبط بحواسنا ، مصاحب لرحلة الفرد فى دورة الحياة من الميلاد الى الوفاة .

فهـذا الأدب الـذى نسـميه بأدب العـوام أو أدب العامة ، ويعتبر بعض المثقفين والكتاب أنه أدنى درجـة من الادب الفصيح أو الادب الرسمى ، لو تمعنوا جيدا فى وظيفته خلال مناسبات ثلاث لعرفوا الى أى مدى هو أداة فعالة فى حياتنا ، يشبه الرئـة التـى نتنفس بواسطتهـا ، والريشـة التـى ترسـم كل خلجـات نفوسنـا ، فأول ما تستقبـل الـدنيا مولـودا جديدا تحتفـل به أسرة مجتمعنـا العربى الكبـير تكاد تكون أول كلمـة تنطـق بهـا أفـواه

الأمهات المنتظرات للحظات مقدمه ، هى زغرودة حلوة تعقبها كلمة حلوة « مبروك المزيود » ويقال للام « طيب فيك ، ومبروك عليك » وتنطلق الزغاريد معلنة أغانى الفرحة عند ختانه وعند زفافه ، فالطفل يفتح عينيه على الأدب الشعبى ويسمعه وهو يحاول أن يخطو خطواته الأولى بالغنوة الشعبية أو الكلمة المنظومة المنغمة ويسمعه عندما يستعصى عليه النوم فى أحضان الأم أو الجدة فتأخذ فى تهنينه قائلة فى صوت هادىء يزداد خفوتا كلما ركن وليدها للنوم :

هوها هوها هاتى النوم
لوليدى منام اليوم

وتسترسل فى الانشاد مع ترديد كلمة (هوها) عند نهاية كل مقطع من كلماتها ومن مداعبة الأم العربية المسيحية لطفلها انشاء الله يقبرنى . انشاء الله يقبرنى أى أمنيتها ان يعمر طويلا حتى يشرف على دفنها وجنازها . والطفل فى ليبيا عندما يشب قليلا أو يخطو هذه المرحلة



المبكرة بشهور ويحاول أن يمشي تمسكه أمه أو اخوته الأكبر منه سنا ويرددون هذه الكلمات من الأدب الشعبي :

ديدش ديدش حب الرمان
ديدش ديدش خبــزه ودهان
ديدش ديدش بدل خطواته
ديدش ديدش يا سعــد خواته
ديدش ديدش من يمشي زيه
ديدش ديدش وأمــه جاباته
ديدش ديدش حب الرمان
ديدش ديدش خبــزه ودهان

ومهما اختلفت هذه العادات الشعبية بين قطر وآخر أو بلدة وأخرى في جزئيات بسيطة الا أنها تلتقي في مظهرها العام ، فهناك رواية عن بعض جماعات في مجتمعنا في ليبيا يقال انهم لا يزغردون عند ولادة الام لطفلها ، لا لعدم فرحتهم بمقدمـه ، ولكنهـم يرجئـون هذه الزغـرودة أو الاعلان بمقدمه والفرحة به لحين بلوغه سن الرشد وقيامه

بعمل قيم وهو ما يعتبرونه أو يسمونه اثبات للرجولة ، ولكنهم يحتفلون به فى ختانه وزفافه بنفس التقاليد .

أما مناسبة الميلاد وما يتبع فيها وما هى أوجه الاختلاف فى احتفائهم بالمولود الذكر على الأنثى بين منطقة وأخرى فسنحاول أن نتحدث عنها بايجاز :

ففى مناسبة ميلاد الطفل لم تكن هناك مظاهر كبيرة للاحتفال به أكثر من أنهم يطهون العصيدة صبيحة ميلاده ويكرمون جيرانهم ، ويأتى يوم (السبوع) وتحضر مجموعة من النسوة الى أم الطفل ويعطونها (النحيلة) وتسمى « البياض » ، وغالبا ما تكون هذه النحيلة « قروشا قليلة أو مجموعة من البيض » . هذا اذا كان المولود ذكرا ، أما اذا كانت انثى ، فقد تجد نوعا من الفتور فى مظاهر الفرح والتبريك ، ولعل ذلك كان راجعا الى ما ترسب فى عقول الناس من عصر الجاهلية حيث كان الآباء يقدمون على دفن بناتهم بعد ولادتهن خوفا من العار كما يتعللون ، حتى أننا نجد فى بعض





كلمات مداعبة الأطفال ما يثبت نظرتهم المتشائمة للأنثى مثل قول الأم لطفلتها :

ياريتك ما جيتى بالكل
يا ريت الحشر عليك نزل
يا ريتك فى حلقوم جمل
يا ريتك فوق رحيب البل
الطيحى وين البل[1] تجفل

***

وين قالوله جت بنيه
بوك عثر فى العتبة طاح
وامك ليلتها مكبية
وخاطرها من الفجعة راح
والعيلة كلهم جمليه
صاروا غير بكى ونواح[2]

(1) « البل » : الابل .
(2) الراوية هى السيدة خديجة الجهمى . . وهى شاعرة وكاتبة اجتماعية .

كما أننا نجد مثل هذه النظرة المتشائمة للبنت متبعة أيضا لدى بعض مناطق الريف فى جمهورية مصر العربية ، فهذه أم مصرية تداعب طفلتها بمثل ما قالته أختها فى ليبيا :

لما قالوا ده ولد
انشد ظهرى وانسند
وكلونى البيض بسمنه
وعوموه فى الزبد
يا ولاد .. يا ولاد .. يا ولاد
ولما قالوا دى بنية
مالت الحيطة عليا
وكلونى البيض بقشره
وقالوا كولى يا أم البنية (1)

---

(1) من بحث الاستاذ عدلى محمد ابراهيم عن عادات الميلاد فى محافظة قنا بجمهورية مصر العربية .

وحتى عندما تربُت هذه الام على طفلتها بيد الامومة الحانية وتمنحها من عطفها كلمات الاطراء والامانى الحلوة فلا تتعدى هذه الامانى أن تراها قد كبرت وتزوجت لكى تجدها هذه الام عند شيخوختها وعند وفاتها تقف بين النائحات وتبكيها بشعر العديد والنواح الذى كان متبعا فى الريف حتى أن بعض الذين لهم مكانتهم الاجتماعية يقال بأنهم قد كسروا فى مآتمهم كذا (صندوق وقصعة) من شدة دقات النائحات عليها عند وفاة هذا العزيز لديهم .

انظر كلمات هذه الأم بماذا تناغى طفلتها :

لا ليات . . لا ليات
نعملك دنيا ودبش
دبشك يا سر ببتاتات
نعملك ثلث وسايد
ولا تقطعهم شبريات
يا مسمح دبشك متموم

زوز قرافـك[1] محطوطات
احزاماتـك عدو عشرين
كتـافيك بغـير حسابات
السقاطـة على قدامـك فوق
مرقومـة فيهـا رفايات
نعملك زوز بخانيق
خمسـة غـير العجارات
يا مسمـح حليك متموم
خلالك كاد اللباسات
فـات سوارك بوقيات

***

يا لا لى .. يا لا لى
بنية فوق[2] من سـتـة ولاد

---

(1) كلمة « قرفة » : تطلق على آنية تقوم مقام دولاب الملابس وتصنع من سعف النخيل .

(2) فوق من ستة ولاد : أى أنجبتها بعد ستة أخوة ذكور .

كيف النـــاس يلومونى
خوتـــك غـــير أعمار الحوش
منـــى ما يقولـــوا خالى
أستنـــوا يا ذرو(1) النسوان
كأنهـــا واحـــدة تعرفنى
انتـــى وســـادة فى المرضى
من يعطينـــى جغيمـــة ماء
مـــن يغسلنـــى من الجيران
ما يحمـــل حد على
تحظينـــى وقـــت اللى انموت
بنية تشيعنـــى بعشى
فيا يجوهـــا العزايات
وتنوح بالصوت على

كانت هذه كلمات المداعبة للبنـات . . والعـكس ما

(1) يا ذرو النسوان : يا معشر النسوة .

يقال فى مداعبة الأولاد الذكور :

بيك جبـــر بيك جبر
ولا تشبـــح عازا ولا شر
بيك جبــار وبيك جبار
سلـــم وليدى عمار الدار
بيك جبــار وبيك جبار
سلـــم وليدى عمار الدار
غـــير أكبـــر بس
انـــديرولك عدة وفرس
انـــديرولك عدة وحلاط
وزوز غدارة تحـــت الباط
نريدك وين يصـــير عياط
تجـــى من غادى تدعفس[1]

* * *

(1) الراوية السيدة خديجة الجهمى وقد ورد ذكرها قبل ذلك .

سلـــم ولدهـــا سلـــم ولدها
جاباتـــه فى الحـــوش وحدها
لولاه الحلوف طردها

* * *

جود الجود جود الجود
جـــاب البـــل ارجـــود ارجود
حمـــر وســـود فحـــل البـــل وبكراتا
وهاجـــر للقبلـــة بقعود
وشيط ريق الزغراتا
مـــا يعـــرف سلبـــان جرود
وكان يهيتـــك بعصاتا
واجـــلاده ياسر موجود
كبش يزبـــرز فى وسطا
منـــين جبتـــه قلـــت صلوات
حضرت محمـــد وعلى
قـــدا أمـــه عادوا الزغراتات

عاد لفا خاله يجرى
زاد الفرح على فرحات
قال سعدك يا بنت أمى
ولدك جانى عز خوات
وحده ايدير لها فى حلى
ولخره يدير لها فى ابتات[1]

* * *

ويكفى أن نشير الى أن الطفل عند ولادته تنطلق الزغاريد معلنة فرحة الأسرة واعتزازها بمقدمه ، وهناك من المعتقدات المرتبطة بعقلية الشعب ما يدل على حرص الاسرة فى الريف على أن يكون لها من الأطفال الذكور ما يضمن لها راحة النفس وصفاء البال ، فحرصهم على الانجاب يتلخص فى أنهم يريدون استمرار عائلتهم ونسبهم بين كل الاجيال التى تأتى بعدهم ، فيقدر ما

(1) الراوية سيدة مسنة من بلدة الجوش ـ محافظة غريان .

يشقى الاب والام اللذين تمـر بهما السنـون ولا ينجبـان أطفالا بترددهم على الأطباء والفقهاء وكل وسائل العلاج الشعبى بما فيه الاكل من شجرة (القنقيط)[1] لتفقد الام وعيها وتستجلى الغيب عند غيبوبتها من جراء تأثير العشبة المخدرة التى تناولتها ليخبرها المنصتون فيما بعد عما قالته بعد صحوتها هل ستنجب أطفـالا أو أن الأمـر ميئـوس منه ، وأيضا توسلهـم لفقهـاء التعـاويذ وزيارة الأولياء وغيرهم ، وبقدر ما يصيبهم هذا القلق والعنـاء يصيب من لا يعيش لهم أطفال حتى نرى منهـم من يخـرم أذن الطفل ليضع فى ثقبها قطعة من فضة أو حجابا صغيرا لا يعلم ما بداخله أكثـر من أنـه أوصـاه (الفقيه) كاتـب الأحجبـة بتبخـيره « بالفاســوخ » أو « الجــاوى » أو « اللبان » ، ومنهم من يبادر له بعملية الوشم على جبهته أو ينذر لأحد الأولياء بزيارة سنوية ، كما أن هناك اعتقادا

---

(1) « القنقيط : شجرة تنبت غالبا فى أماكن قلع الأحجـار وأمـاكن الخـراب كالمبانى المتهدمة ، لها زهور بيضاء ، وتسمى أيضا عكوز موسى .

مماثلا لدى بعض مواطنى « محافظة أسيوط » بجمهورية مصر العربية ، وهى أن المرأة العاقر تذهب الى مكان فى جبل يطلق عليه اسم « الدحريجة » تتدحرج عليه سبع مرات اعتقادا من أن هذا سوف يتسبب لها فى الحمل ، وفى بلدة (الزوية) بمحافظة سبها بلغت هذه المعتقدات ذروتها وهى نقطة جديرة بالتأمل لا من حيث عملية التأثير والتأثر ، ولا من حيث غرابة الأسلوب الاعتقادى ، ولكن من حيث أن الانسان قد يهجر موطنه الأصلى ويستوطن فى مكان آخر وتظل ثقافته الشعبية التى هاجرت معه عالقة بذهنه يمهد لها للانتشار وييسر لصيرورتها ولاستمرارها وكأنها هى عزاؤه الوحيد فى موطنه الأول وموطن ثقافته التى نبعت منه لأول مرة ، ففى بلدة (الزوية) والتى يوجد من بين سكانها مجموعة صغيرة من أبناء ليبيا سمر اللون يطلق عليهم سكان البلدة لقب « العبيد » ويقال أنهم جاءوا منذ أجيال وأجيال من بلدة يطلق عليها اسم « برنو » وفى رواية

أخرى يقال بأنهم أتوا من بلدة تسمى (واو) حتى أنهم يربطون هذه التسمية بما يسمعونه منهم من أشعار أثناء تبييت الطبل بمناسبة الختان والزفاف اذ أن كلماتهم الزجلية تختم بكلمة يا واو يا واو . . . ومن بين هؤلاء رجل مسن يسمى شيخ العبيد . ومن لا يعيش له أطفال من سكان هذه المنطقة يلجأ الى هذا الشيخ لكى يحول بين طفله ويد المنون بتحديد موعد مسبق معه بحيث يأتى هو وجماعته ليستضيفهم أبو الطفل ، وبعد تناول وجبة الأكل يقومون بألعابهم ورقصاتهم مع نقر الدفوف مثل « الصندا عبيد » والكسكا ، مع ترديد كلمات لا تفهم لدى السامع ، ولم أستطع أن أدون منها أكثر من هذه الأبيات القصيرة :

كوبرا سلم عليه كوبى

برنو . . برنو . . برنو

عن نبينا يا رسولو

برنو . . برنو . . برنو

وبعد ذلك يأخذ أحدهم الطفل ويمر به على الحاضرين من زملائه عارضا اياه للبيع مرددا هذه الكلمة « من يشترى عبيد » يقولون له « بالك بخيل . . بالك لا يحرث . بالك لا يحصد » ويجيبهم « سالم من جميع العيوب » فيبتدىء الأول بالثمن وتستمر عملية المزايدة الوهمية الى أن يرسو الثمن على أحدهم بحيث لا يتعدى مائة « كرنافة »[1] ، ويدعون له بطول العمر ويعطونه اسما جديدا منهم وهو « بركة أو مسعود » ويدفع أب الطفل للشارى قميصا وشيئا من السكر والشاى وجديا أسود ، أما الطفل فيبقى مع والده حاملا للاسم الجديد وعند ختانه تحضر المجموعة التى قامت بعملية الشراء الوهمى ليطبق ما هو متبع لديهم من عادات وكذلك عند زيارتهم لجدهم « سيدى بن مسكين »[2] يمرون أمام بيت هذا الطفل

---

(1) الكرنافة : هى أحد فروع النخل اليابسة .

(2) سيدى بن مسكين: ولى صالح يقال بأن هؤلاء الاخوة المذكورين من نسله يقومون بزيارة سنوية لضريحه .

ويقومون بشيء من رقصاتهم ، أما الشارى للطفل فهو ملزم بدفع الثمن صبيحة اليوم الثانى حيث يأتى بحزمة « الكرناف » من واحة النخيل ويجردهم أمام الحاضرين وكأنه يسدد دينا حقيقيا ، وبمرور الزمن أضحت عملية احضار الثمن الوهمى يطرأ عليها بعض التعديل بحيث تنقسم الكرنافة الواحدة الى ثلاثة أجزاء لكى لا يرهقه احضار المجموعة كاملة واقتلاعها من رأس النخلة ، وهنا نلمس أن التطور الحضارى ودور وسائل الاعلام لا يستطيعان اقتلاع ما علق بأذهان الناس مرة واحدة ، ولكنهما يستطيعان أن يضعفا من حدته ومن حرص الحريصين على تنفيذه ، وبقى أن نعرف كيف أن هذا المعتقد قد قدم الى هذه البلدة مع أنه ليس نابعا منها ، بل طريقة التأثير والتأثر هى التى بعثت فيه روح الانتشار بين هؤلاء الناس وذلك لوجود شيء آخر من أدبهم الشعبى يصحب مناسبة الطهور والزفاف ، فمن الملاحظ بأنه فى أغلب المناطق فى بلادنا تعد مناسبة الختان وكأن

مشرع العـادات والتقـاليد قد شدد فى منـع تحريفهـا أو الاضافة لها بين من يسكن أطراف الصحـراء وواحـات النخيل وشاطىء بحـر الرمـال والمدن والقـرى عدا هذه البلدة المذكورة ، فهى الى جانب محافظتهم على كل ما هو متبع لدى غيرهم من أبناء وطنهم الكبير ، فقـد أضيف لهم شيء آخر لا تجده الا فى بلدتهم أو فى بلدة أخـرى مجاورة لهم ، ومرجع ذلك يبدو أن مجموعة العبيد قد أتوا بهذه العادات . فمناسبة ختان الطفـل فى بلادنـا (مـع مراعـاة أنـى أتحـدث عن الـريف) ، تتلخص مراسـم الاحتفال بها كالآتى :

أولا :

عند البدء في قيام حفل الختان ينصبون راية بيضـاء على شرفة المنزل ثم يجتمع النسوة فى البيت فى اليوم الذى يسبق عملية الختان ويقمن بفتح « العلاقـة »(1) لتوزيع ما

(1) العلاقـة : وعـاء مصنـوع من سعف النخيل يضعـون فيه أدوات الزينـة والعطور فى مناسبات الختان والزفاف .

تحـويه من عطـور على الحـاضرات ولمزج البعض منهـا ليصنعـن منـه شيئـا يسمـى « بالصخـاب » وهـو شذى الرائحة يعلق على طاقية الطفل ويسمـى هذا اليوم بيوم التشبيب فى بلـدة الزيغـن ، وبعـذ ذلك يحضر الجـيران وأقـارب أسرة الطفـل فى اليوم الثانـى لحضـور حفـل الختان ، وعند قيام الطهـار بعملية الختان تقف أم الطفل مع مجموعة من النسوة فى ركن من أطراف البيت وتضع رجلها فى اناء كبير مملوء بالماء ويسمـى (القصعـة) ولا ترفعها منه حتى يعلن أب الطفل أنه وهب شيئا من ماله لابنه أو « نحله » كما يقولون . وقد تكون هذه النحيلة ناقة أو شاة أو نخلة من مجموعـة ما يملك من النخيل ، وهـذه الطريقـة متبعـة لدى المقارحـة وبعض القبائـل الأخرى ، وفى طرابلس وضواحيهـا توجـد عادة اهـداء مبلغ من المال للطفل عنـد ختانـة ولكنهـم لا الاب ولا الحاضرون يهدون شيئا من العقار أو الماشية ، وفى بلدة (الزوية) يوجد كل ما هو متبع فى مناسبة الختان والزفاف

من أغان وعادات مع اضافة بعض العادات الأخرى التى يقــوم بتأديتهــا جماعــة العبيد المذكورين فى أول هذا الحديث ، ففى ليلة قبل يوم الختان يأتون بطبولهم وينضم اليهم أهل البلدة يبدأون بما يتبعه العبيد من عادات اذا كان الطفل مباعا لهم من قبل ، كما أسلفنا ذكره . أمـا بالنسبة للآخرين فيكتفون بالزف[1] ويتجه موكبهم للسير الى مكان معــين غــير بعيد على بيت حفــل الختــان ويستمـرون فى نقـر الطبـول يتقدمـون أربـع خطـوات ويرجعون الى الوراء خطوة واحدة وخلفهم مجموعة من النساء والاطفال . وبين الحين والآخر يشكلـون حلقـة مستـديرة ثم يدخـل اثنـان منهـم ويقومــون بالــرقص ويستمرون ، وهـم ينشـدون كلماتهـم المواتية لنقـرات الطبول كقولهم :

هالله الله النبى يا رسول الله

الى أن يصلوا الى بيت « سيدهم » وهو رجل يقال أن

---

(1) الزف : موكب من أهل القرية ويضم المنشدين والمنصتين .





له عليهم فضلا وتجلس مجموعة النسوة فى جانب والرجال فى جانب آخر وتخرج اثنتان من النسوة ومعهما أم الطفل وتجلسـان وعلى رأسيهما غطـاء أبيض وبينهما الطفـل المحتفى بمناسبة ختانه وتستمر مجموعة العبيد فى انشادها والدوران سبع مرات حول الطفل ثم تأتى بعض النساء من الحاضرات وهـن ممسكات بمناديل ويقمـن ببعض الحركات فوق رأس الطفل بالمناديل ويسمى « الكسر » . وبعد ذلك يتجه الجميع الى خارج القرية فى أرض فيحاء ويستمر السمر الى الصباح على أنغام الموسيقى الشعبية والغناء « والنخاخات » ، والفرق بين طريقة النخاخات فى طرابلس والـزوية هو . . فى طرابلس « الضواحـى » الفتيات اللاتى لم يتزوجن هن اللاتـى يقمـن بالنخيخ وتشاركهـن العـروس فى تلك الليلـة وهـم يحتفـون بزواجها .

وفى بلدة الجوش ترتدى العروس كتفية حمراء وتقف أمـرأة خلفهـا لكى تظهـر للحاضرين أنهـا العـروس ،

ونلاحظ بعض الاختلاف بين مدينة سبها وطرابلس فى طريقة الأداء للأدب الشعبى المتمثل فى قصائد الزجالين فى ليلة أو ليالى ما قبل الزفاف أو الطهور . ففى محافظة طرابلس تنتظم النساء على حدة والرجال فى مجموعة على حدة ، ويقف الشاعر الشعبى فى منتصف صف الرجال وعلى يمينه « خماسته » أو الذين يرددون معه انشاده ويبدأ بكلمات تسمى بالموقف يرتجلها وهو واقف ، وكثيرا ما يكون مطلعها :

هيلى ايلى ايليلى
هى لا لا هى

وتعيدها مجموعته بصوت مرتفع ، ويسترسل بعد ذلك فى انشاد أزجاله ، وغالبا ما تكون البداية الصلاة على النبى أو تبريك لصاحب الفرح مثل :

مبروك يا صاحب الفرح
والفرح بركة كبيرة

لفــو ناسنــا وناسنــا فرح
ليلــة الفرحــة الشهيرة
خلــو الغنــا هيل للصبح
على لاويات المريرة
مبهــاك يا نجعنــا السمح
فى وطــن عشنــا فى خيره
بالله يا مضمــد الجرح
قلبــى دموعــه غزيرة
من عــين تأخــذ على الرمح
غمــزة صبيــة صغــيرة
علشانهــا نبــات فى الفرح
وشعــرى بحــوره غزيرة
نقولــه ومــا ينقصــه شرح
على بو العــين الكبيرة



ربط العـــرس

ويتعـرض أحيانـا لشاعـر آخـر قد أراد منازعتـــه فى الانفـراد بالانشـــاد فى ذلك الغـــرس فيسعــى لتعجيزه ويسمون هذا ربط العـرس ، فاذا ما أسعفتـه شاعريتـه وغـزارة سيولتـه الشعـرية انتصر على خصمـــه والا ترك المجـــال لمنافســه ، وهنـــاك نوع مشابـــه يطلـــق عليه « النميم »(1) فى جمهورية مصر العربية ،وكثـيرا ما تكون عكاظيات الزجالين هذه على نمط معـركة السحـرة التـى ترويها بعض الحكايات الشعبية والتى منها (قذف واحد

---

(1) النميم ـ هو عبارة عن مباراة شعرية بين شاعر أو أكثر تقام بمناسبة أفراح الختان أو الزواج والشاعر الذى لا يحصل على استحسان الجمهور يخرج من المسابقـة . هذا النـوع موجـود فى محافظـة أسـوان بجمهـورية مصر العربية .

بعصاه لخصمه فتمثلت له حية فقذفها خصمه بالمثل فتمثلت له نارا لتلتهمها)،وكأن الشاعر الشعبى المستفيد من التراث القديم قد فكر فى أنه لا ينفعه فى مبارزته هذه أكثر من شعر الطلاسم .

فهذه مقتطفات من شعر ربط العرس :

العرس اللى قذام البيت
بلعه عفريت ، دخل به البحر المحيط

* * *

بلعوه جنون غاق وغيوق وميمون
به دخلوا وسط الغليون فيهم ما يفلك حلتيت(1)

وهذا شاعر آخر يقول(2)

بايت نخمم ندور عن زول مشغول بيه
صيفة غزال المصور راتع فجوج الخلية

(1) حلتيت - نوع من البخور الردىء الرائحة ويستعمل فى التعاويذ السحرية والطب الشعبى .

(2) الراوى الشاعر الشعبى عبد القادر المحروق من بلدة الجوش .





اللى جوفهــا جوف ضامر
ركبــت ولــد سلطانية
اللى هذبهــا يبان ينحر
مــن الكحــل يرفــع وقيه
نبــدى كما البحــر نطفر
ولا يفسرو لى لغيه
وادى طفــر جا محدر
مــا تحــكماش الثنيه
والصيد لا ضل يزهر
حــداه قرد مالاش ديه
خوذوا كلامــى معبر
قناطــير ما هن وقيه
ملايين طلعــت تكركر
للحــرب شرهــت بنيه
يا طالــب العيب تحضر
نســدو عليك الثنيه

لا تخش لا تصيب تظهر

نبــرم معــاك اللغيه

مربــوط عنــك مسكر

والحــل فى بطــن حيه

فى سابــع سما حذف مقحر

لا يبــان لا له ضويه

جاتــه زعــازع تكندر

ترعــب النفس الشقيه

جاه ريح أســود يطرش

يبس عليه الميه

الأمــه بدت غــير تكدر

قالــت الــدنيا فنيه

حـل العـــرس

استغفــرت يا رب تغفر
في قول من غـــير نية
الشيطـــان عنـــى توخر
وللملاك دارت عليه
والسخـــط عنـــى ترفع
وسرحـــت باب المية
وحليت عرس المسكر
المفتـــاح جانـــى هدية
من سابـــع سما جى محدر
قـــدرة المولى قوية

دكن سحابـــة وكندر
هافـــت أمطـــاره قوية

الفـــلاح طبس يعمر
يحـــرث الأرض الخلية

بيســـورى[1] يدهـــكل يكربل
خلى الـــوطية علية

نبـــت وقصـــل وفتـــق وسبل
وطعمـــت النفس الهفية

وجاتـــه مناجـــل تجلول
وشبـــاك تهمـــل ولا نوادر[2] عليه

جوراش[3] طبس يعمل
للصبـــح والنـــار حية

---

(1) سورى محراث مصنوع من الحديد ويسمى بالمحراث السورى .
(2) نوادر : جمع نادر ويطلق على كومة الزرع بعد الحصاد .
(3) جوراش : نورج .

انصفـــى انغربـــل انبنتل
فى عرســـك يا سزية

يا قاعــد العـــرس تنظر
المحــــروق فيكم يخبر

اسمـــع كلامـــى بنية
فاطـــن وحاضر

فى الشابـــة والصبية
صلـــوا على البـــدر لزهر

بو فاطمـــة وبـــو رقية
صـــلاة دايمـــة الـــدوم تحضر
يا رب تغفر السيه

وهذه قصيدة أخرى من قصائد ربط العرس[1] :

---

(1) الراوى : الشاعر الشعبى عمر المحروق من بلدة الجوش .

أنـــا فيك ندوز
يا طالــب للشر
جابـك ربـى اليوم

أنـا بحــرى واعر
غـــارق ومزير
يصعـب فيه العوم

عليك يبـدى حارم
على المحفــل تخطم
مــن كل الجهات

عليك قفلوه عجم
لا منهـــم تفهم
بــكل اللغات

غـيز سرب وخطم
عليك طقوا
خنـــاقـــــــات

أنـــا صيد ونزهر
دامـــى ومظفر
ســاكن فى لوعار

أنـــا رانـــى شاطر
قـــديم وماهر
نحـكى باللى صار

واصغـــى يا حاضر
لكلامـــى فسر
وكون فالـــح فسار

يا طالـــب للشر
مـــا تقـــد تعافر
سخـــن دمـــى فوار

أنـــا رانـــى ساحر
مـــا نيش موفر
على كل الشعار

غير اهـرب وانصر

لا جيتـك تنضر

يبدى خوفـك عار

أنـا بويا شاعر

وكلامـه معبر

يوزن بالقنطار

من قبـل يحدر

للعـرس يسكر

بقفـالات أسطار

ما يحلـه شاعر

كونش يتسخر

على شان الخطار

كان حدر ونزر

كل طالـب يظهر

مـا يقـدر له قحار

يرزم ويهدر
في وسط المحضر
حتى لا لفجار

فحل هايج ظامر
منيب ومخظر
على قعدان صغار

به ديما نزخر
ما نيش موخر
نقوى في التيار

أنا هاني بنظهر
والعرس تسكر
يا طالب للشر

زود هيف جهار
في وين تحكر
بيك يلوذ بحر

كأنـــك بتعافر

تزلـــق تتكسر

تمشي تروح هشوم

وهـذا لون من قصائــد الطبيلــة والتــى يصحبهــا النخاخات :

جظــاره ناديتلهـــم جن

بـغـيــض بـكـــــــــــــن[1]

بـدمــوع حـــــــن

معـــاياس قديم يمورن

* * *

جظـــارة والجاظــر مسكين

ابـــكى يا عين

انسى مدعـــى ناس مراهين

الخـــايل فى خمســة واثنين

---

(1) من قصيدة للشاعر الشعبى أحمد الشايب ـ من بلدة (زلة) محافظة سبها .

علـيــه لـــــــــــــــون
شماعــى فى خلخــال يرن

وهذا لون آخر من قصائد الطبيلة :

هات عصاتــين وخــذ منى
يا مستنــى ـ تبيَنــى فى العــرس تغنى

***

لا رنــت بحـــذاى عصايا
لا قابلنـــى نخاخات
ما يقعــد خمـــاس معايا
بحـــرى وافى فى الهيلات
يا بو خد تقــول مرايا
جلــول يا كاحــل لنعات
من مطــراك سبـــايب دايا
بـــو سالف هيف زدوات

ياللى قربــك عز الغايا
يكبــر جنــى لا قربنى
هاظ بحــر يا قصعــة رنى
هــات عصاتــين وخــذ منى
يا مستنى- تبينى فى العرس نغنى
وشاعر آخر يقول :[1]

عينــى بكت نحسابهــا صباره
وين لوجــت ماريت سود انضاره

* * *

نحسابهــا بتــهـونــــــــــه
وين لوجــت ماريت سود عيونه
ادورد على العــين دارت شونه
سخــى دمعهــا فوق الهــذب يجارا

---

(1) الشاعر غيث العزومى ـ من بلدة المقارحة .

على غيث غالى كيف ضى عيونه
صاحـــب غلاه معـــاه قاعـــد جاره

* * *

عينـــى بكت نحسابهـــا بتنسى
وين لوجـــت ماريت زول الونسه
يا وصف هلى فى البساط تخنسى (1)
وين قابلـــه الصياد زاد تواره

ومن بين أدوات الشاعر « قصعة » وثلاثة من العيدان التى ينقر بها هو وجماعته فوق « القصعة » للحفـاظ على الوزن ، لأن الشاعر الشعبى موسيقاه فى لسانه ، ونقرات هذه الأعواد على القصعة تبين له سلامة تركيبـه للابيات والقـوافى ، فاذا لم تتعثـر فى يده دل ذلك على أنـــه لم يخطىء ، أى ليس فى شعره « زحف » كما يسمى فى لغة العروضيين .

---

(1) تخنسي ـ دارى نفسه ـ أو توارى عن الناظرين .

ومن قصائد الشعراء فى ليالى السمر والعرس :

وأنـــا نبيك دوا لعيونى [1]
وانتـــى كيـف على تهونى

* * *

وأنـــا نبيك دوا لنظارى
يا كمايت سر اخبارى
فى مكنونـــى شاطـــت نارى
وأنـــا المذيبـــل خلونى

* * *

قبلك موش مريض اكى
بعـــد ما جاه نبـــاك اقسى
ما فى النـــاس علـــم غـــير انته
يا مريود فضـــة ما هنته

(1) دونت الكلمات من بلدة الزيغن ـ محافظة سبها ـ وقد تسمعها فى أى مكان آخر لأنها ملكا للجماعة .

ريدى يا محلى بنيانه
يا محلى رشقت ذرعانه

****

ريدى يا محلى صيفاته
يا محلى مكحول انعاته
سالف ريدى لا قضاته
غراف وما سد دهانه .

****

ريدى يا محلى مكحوله
يا محلى رشقة بزوله
سالف ريدى قامة طوله
بردى انهال على حيضانه

****

ضاق العلم بطيت علينا
مادزيت رسيلك لينا

ومن قصائد الشعراء الشعبيين التى تقال فى مناسبة الفرح وفى سمر الشعراء مع أصدقائهم ما يسبح بنا عبر رحلة الشتاء والربيع وسنوات الجفاف والاخصاب .

فهذا شاعر من ليبيا فى كلمات نتخيل من خلالها وجه الريف الكالح الكئيب عندما يطول به الجفاف وتضن عليه السماء بمائها المدرار فيتمنى هذا الشاعر عودة الربيع الفواح وتسجد قوافيه ضارعة الى الله أن تنسكب على أرضه الطيبة الأمطار .

يقول الأول فى وصفه لسنوات الجفاف :

عام السنة راكب على مهريه

وكل من نشدته قال بات عليه

قال بات اتعشه

وفى الصبح فطرته وزاد تمشه

طوى بلادنا من بحرها للخشة (1)

قرطس غرايرها وجا فى عشيه

(1) الخشة ـ المناطق البعيدة عن شواطىء البحر وبها جبال وأودية .

وقول الشاعر فى المطلع الأول « عام السنة راكب على مهرية » معناه أن تلك السنة سنة الجفاف وصورها بانها كانت ممتطية نوعا من الابل سريعة العدو ، والتى يقال عنها بأنها تقطع المسافة التى يقطعها الجمل العادى فى سبعة أيام أو فى اثنى عشر يوما فى يوم واحد ، ويقدرون مدى سرعة هذه المهرية أو المهرى عند ولادتها أو ولادته ، فاذا ما بقى بعد الولادة مباشرة نائما لمدة سبعة أيام فهذه سرعته ، واذا بقى اثنى عشر يوما فسوف تكون سرعته كذلك ، فعام القحط والجفاف هذا الذى صوره الشاعر راكبا هجينته السريعة المسرعة لم يترك ناحية من الوطن الا وطل عليها بوجهه الكالح « قرطس غرايرها وجا فى عشية » أى لا قمح ولا شعير تملأ به هذه الغراير التى تركت خالية من شدة الجفاف واحتجاب الغيث .

وهذه جمل قصيرة من نص قصيدة شعبية للشاعر مبروك الدبوكى مدونة فى كتاب « الأدب الشعبى فى ليبيا » لمؤلفه محمد سعيد القشاط ص208 ، القصيدة تبين مدى فرحة

أهل البادية بالمطر :

على الله لا برق بان همت
فيه المطر تنكت
دج شين موش نقط
ليلتين ما سحت
قوى سيلها يدعب
لغصان فتقت
والبايدة صحت
جت اميده تلعب
عرب نجعنا دعست
بجهودها حرثت
قد من زرع نبت
رواقات جانا اصييب
الشاحطة ارتخت
والغالية رخصت
تمر العجين ارطب

لا برق بأن همت
وميته تدعب
ونجوعنا رحلت
لقوا البر شيء عجب

هذه فكرة صغيرة عما هو متبع فى أغلب محافظات الجمهورية فى مناسبة ختان الطفل والزفاف ، وكذلك هذه النماذج من القصائد التى يرددها الشعراء فى شتى الأغراض ، فقد دونا البعض منها كشواهد ، أما فى بلدة الزوية السالفة الذكر فان مجموعة النخاخات فيها اللاتى ورد ذكرهن متزوجات ويضعن على وجوههن مناديل ، والأغانى الشعبية ينشدها الرجال وتصحبها الموسيقى الشعبية ودقات الطبول وكلماتها كالآتى :

سفن ريشهن ماهن على اللى قالن
ولا يكرهن غيات كيف يوالن

***

ايجن ع الرجه
وما يحملن من العيب حتى حجه
ينوضن زعالى كيف قوم الهجة
ولا يلتهن بالطبل كان تخالن

***

ايجن ع الهادى
ولا يركضن كان للغلا(1) من البادى
سهارى عيونى من غزال الوادى
باتن كما غزر المطر ينهالن

***

ياللى مسافر شور زول الغالى
سلم عليه وقوله عن حالى

***

(1) الغلا : المحبة .

يالـلـى مسـافـر شـــوره
فى جرتـه سمـح الخجــل والصورة
تمنيت روحـــى كل يوم نزوره
خـــيرك مغيب يا قمـــر فى العالى

***

يا لخضرة يا نور العين
يا دلال العقــل المسكين

***

ريـتـك فــاقـــار[1]
كيف لا ربيل[2] بوعيون كبار
اللى حازك ما شاف غيار
زهــا عقلــه وفرحـــه فرحين

***

(1) أقار : اسم بلدة بمحافظة سبها قريبة من مدينة براك .
(2) لا ربيل : اسم يطلق على الغزال .

ريتك بالحق
خلال بوتسعين مدقق
لاك فجره مدقوقة دق
ولاك تمرة وداروك عجين

* * *

اللى الخضرة معاه
اللى حازك ينساه بكاه
اللى يقرب زولك تالاه
ضوت شمسه بين هلالين

* * *

نهون المال وانتى ما تهونى
يا مشكاى يا خزرة عيونى

* * *

والله يا حبيبه
ديما الروح من روحك قريبة

وكان العقل موالك يجيبه
ناس اليوم عنك بعدونى

***

والله يا بنيه
يهون المال فى زولك شوية
قربك فرح والدنيا هنية
زاد الحب عنك ما جفونى

***

يا كذاب قلبك ما هو لى
ولك عامين ما تنشد على

***

قول لى وين غايب
لا مرسول جانى من الحبايب
كيف ندير ودموعى سكايب
وتكبر نار فى جاشى قوية

الكلمات التى تقال فى مناسبة العرس قد لا تتعدى

مطلعا وبيتين من القصيدة ، ثم ينتقل الى قصيدة أخرى .

ويستمر المنشدون فى ترديدها مرات ومرات .

وهذه كلمات من واحة الخارجة بالوادى الجديد بجمهورية مصر العربية ، قريبة من الوزن الذى يتبعه الشعراء والحفاظ فى محافظة سبها بالجمهورية العربية الليبية :

وديت محبوبى وين
خاين يا زمانى
دق الهوا ع الباب
قلت الحبيب جانى

* * *

تريك يا هوى كذاب
بتدق بالعانى

لأدعـــى عليك يا باب

بـالـســوس والـنـــــارى

والشاعر الشعبى فى ليبيا كثيرا ما يولد المعنى من آخر كلمة فى البيت الأخير من شعره مثل :

ريت خد فى الزينـــة يشرع ضيه

تقـــول نار فى فج الخـــلا مقديه

❋ ❋ ❋

كما البـــلاره قمـــر زارقه

والا تـــريـك نـصـــــاره

عيونهـــا الياتاقـــن تقـــول غداره

الوحـــدة من اللـــين تشيل وقيه

يرزن بلا تكحيل سود انظاره

بـدا خاطـــرى منهـــن بغـــير وعيه

وهـــذه كلمات الشاعـــر الشعبـــى ، بمصر وتسمـــى

بالحصدان نجده أيضا يولد المعنى من آخر بيت فى غصن القصيدة :

البعـــد جفـــا واعـــر يا عين
على اللى كانـــوا غاليين

* * *

البعـــد جفـــا واعـــر يا نارى (1)
مـــن اللى عيونـــه جوز غدارى
بعـــد ما كان ملـــكى وجارى
البـــين فرقنـــا بعشر سنين

* * *

عشـــــرة وزيـــــــادة
والغـــالى طول ميعاده

(1) من بحث للاستاذ ماهر صالح مقدم لمركز الفنون الشعبية بالقاهرة .

المولى يصبرنى على بعاده
مضمر تحلف جوف هجين
البعد جفا واعر يا عين

* * *

البعد جفا واعر ويضر
على العاشق يسقيه المر
قعد طول الليل يفكر
يقول محبوبى نطوله فين
البعد جفا واعر يا عين

ونعود الى الحديث عن العرس فى بلدة الزوية وطريقة تبييت الطبل ، عند الانتهاء من ترديد أغانى السمر يأتون الى نهاية الحفل ويرددون هذه الاغانى التى تسمى تبييت الطبل :

والطبل محطوط فانى يا واو يا واو
حاست عليه الجماعة يا واو يا واو
وين الحبيب المداوى يا واو يا واو

يهمـد ويبـرى أوجاعه يا واو يا واو
والطبـل حفلن وجنه يا واو يا واو
سمية فلانـة وفلانة يا واو يا واو
وكم من فقـى زطّللنـه يا واو يا واو
رمـى سبحتـه فى مكانه يا واو يا واو
يا ريت خوتـى ثلاثين يا واو يا واو
وأولاد سيدى[1] بزايد يا واو يا واو
لا يأكلـوا لقمـة الدين يا واو يا واو
ولا يلبسـوا جرد بايد يا واو يا واو
يجـو كيف حب القلية يا واو يا واو
ليا صار فى النجـع عايط يا واو يا واو
ابعـد على القـول والقال يا واو يا واو
تخطـى ذنـوب الولاية يا واو يا واو
والـكذب ما يقبلـه حد يا واو يا واو
كونش قلال الربابة يا واو يا واو

---

(1) سيدى : كلمة تقال للعم والأخ الكبير وفى بعض المناطق تقال للأب .

مرات يزهـــى دليلى يا واو يا واو
ومـــرات يكثـــر غياره يا واو يا واو
مبهـــاك يا فرح دايم يا واو يا واو
عم الطـــرب فى دياره يا واو يا واو
نرقـد على الشــوك عريان يا واو يا واو
ونضحـــك مع اللى جفانى يا واو يا واو
ونصبـــر على جور الأيام يا واو يا واو
حتـــى يواتـــى زمانى يا واو يا واو[1]

هذه الكلمات التى تقال عند تبييت الطبل ولا تعجب اذا ما قلت لك بأن هناك مثيلها فى واحات الوادى الجديد بمصر ، ولكن من حيث سيولة المنشدين . أمـا المناسبـة فتختلف ، ففى الواحات بصحـراء مصر الغـربية تقـال

(1) سجلت كلمات تبييت الطبل من بلدة الزوية ببراك الشاطىء ، وورد ذكر وادى الشاطىء فى كتاب « معجم البلدان الليبية » للاستاذ الطاهـر احمـد الزاوى صفحة 351 ، وهذا الكتاب طبع سنة 1968 ، بالجمهورية العربية الليبية .

الكلمات عند الاستمرار فى رى الأرض ولكى لا يغلب أحدهم النعاس ، وقد تكون تلك ليلته ، أو بالأحرى نصيبه فى الانتفاع بقسطه من الماء المقسم بينه وبين شركائه ، فتسمعه يترنم بمثل هذه الكلمات بحيث يبدأ المطلع ويكمل الآخر بقية الأبيات ، ويستمرون ولا يرضى أحدهم بالغلبة .

وجماعة تبييت الطبل ينشد أحدهم المطلع ويكمل الآخر بقيته نظما ومعنى ، ويستمرون فى توافق عجيب وسلاسة رائعة ومعنى عميق فى الكلمات ، بقى أن نعرف . . هل كانت هذه الكلمات تقال عند سقى الأرض واستعملت فى الأفراح اخيرا بعد هجرهم للزراعة علما بأن كلا من المنطقتين اللتين ورد ذكرهما واحات نخيل وأرض زراعية بها المياه سواء فى سبها أو فى الوادى الجديد بمصر ؟ . .

ان الجواب لا يأتى الا بعد عملية المسح واللقاءات والأسئلة للجماعات فى كل من الواحتين ، ولعل فى واحة

الوادى الجديد كانت هذه الكلمات تقال فى الأفراح أصلا وحورت الى أغنية من أغانى العمل ، ولموضوع السمر خارج بلدة الزوية قصة جديرة بالنظرة الجادة ، وفحواها .

كان من بينهم رجل له مكانته الاجتماعية وذو علم وصلاح ، وقد نهاهم عن دخول عازف الموسيقى الشعبية ومنشد الأغانى الى بلدتهم فبقوا فى حيرة بين أمر دينهم وعرفهم الاجتماعى ، فالرجل أشار لهم من الناحية الدينية التى لا تسمح لعازف الموسيقى ومردد الأغانى التى تصور محاسن الجمال فى المرأة وحرقة الشوق ومرارة الفراق والحرمان من وصال الحبيب أن تكون بين بيوت يأويها الشاب والشيخ الوقور ، كذلك احتراما للمسجد داخل البلدة وهم حريصون على ما يرضى الله والرسول وأيضا على الاحتفاظ بعاداتهم وتقاليدهم ، فاتخذوا قرارهم هذا منذ خمسمائة سنة قد خلت حسب قول الرواة وهم لا يزالون كلما ارتفعت راية بيضاء على شرفة منزل تعلن

بداية زفاف أو حفل ختان يتجهون الى خارج البلدة بعد اتمام الزف الذى ذكرناه ليلتقوا بعازف الموسيقى ومردد الأغانى بعيدا عن القرية .

انظر الى أى حد هم يتمسكون بعاداتهم ويحترمون رأى ذوى المكانة الاجتماعية ؟ فهم لم يتخلوا عما كان متبعاً لديهم ولم يغفلوا عن معتقداتهم الدينية .

وأغانى النسوة فى مناسبتى الختان والزفاف كأنها نسخة من بعضها فما تسمعه فى طرابلس تجده فى سبها وترهونة والجوش وكأنه أبدعه شاعر جوال لم يترك ربابته حتى طاف أطراف الوطن ولقن الناس ما يجب قوله وطريقة أدائه .

وهذا لون من الأغانى التى ترددها الحاضرات من النسوة فى مناسبة ختان الطفل :

اضفروا قطايته

وزغرتى يا خالته

اضفروا له شوشته
وزغرتى يا عروسته

* * *

يا للو يا جماعة يا محل الجود
واللى يسلف يلقى والسلف مردود

* * *

وين ولاد عمه وين ولاد بوه
يرموله الدراهم ويزيدواينحلوه[1]

وهذه المقتطفات القصيرة التى ذكرناها تحكى عادة متبعة ، وهى أن الذين حضروا يدفع كل منهم مبلغا من النقود تبرعا منه للطفل أثناء قيام النسوة بترديد أغانى « الشوشة » وهناك نوع ثان اسمه « النحيلة » بعد الختان .

---

(1) النحيلة : النقوط .

أما الطريقة الرسمية والتى يتحتم على الفرد ألا يغفلها عرفيا وهى أن يدفع الحاضرون كل حسب استطاعته على أن يكتب اسمه فى ورقة من ضمن الذين كتبوا .

وتسمى هذه الطريقة (الرمى) و (المسلوخ)(1) بالاضافة الى نوع آخر من الهدية لصاحب العرس أو الختان ويسمى (الرقعة) اذ يأتى أصدقاء وأقارب وجيران صاحب الفرح ومعهم شاة مذبوحة ومسلوخة ، وأحيانا حية وكمية من الدقيق ويسمى الرقعة ويعطونه لأهل الطفل وكذلك أصحاب العرس يردون بالمثل عند قيام أى من الآخرين بمثل هذا الختان أو الزفاف (البيات) كما يسمونه ، وغالبا ما يضاف مبلغ للمبلغ الأصلى الذى دفعوه سابقا ، الهدية لأصحاب الزفاف فى

---

(1) المسلوخ : يهدى لصاحب الفرح . عادة لا زالت متبعة وقد حضرت حفل ختان طفل بتاريخ3 /7 /1971 وقد بلغ عدد الماشية التى تلقاها من الذين شاركوه هذا الحفل ثمانى عشرة من ماشية الماعز والغنم ، كذلك كان الازدحام كبيرا اثناء عملية النقوط .

صفة رأس أو أثنين من الغنم متبعة أيضا بين قبائل البشارية[1] بمصر ، وعند ختان الطفل تردد بعض الأغانى الا أنه ليس هناك اختلاف بين مقاطع كلماتها بين المدينة والريف الا من ناحية الأداء فقط ، ففى المدينة النغمة بطيئة رتيبة أكثر منها فى الريف .

وهذا تدوين لكلمات الأغانى فى الريف والمدينة معا :

طهر يا مطهــــــــــــر
صح الله ايديــــــــــــك
لا توجع الغالــــــــــى
لا نغضب عليــــــــــك
طهر يا طهار بالموس الرقيق
لاتوجع الغالى عزم امه ما يطيق

* * *

(1) من بحث عادات وتقاليد ورقصات لدى البشارية للاستاذ أحمد محرم ـ أحد الباحثين بمركز الفنون الشعبية بالقاهرة .

فرشنا الحصيرة

وغربلنا التراب

والحاضر محمد

والشيطان غاب

والطهار جانا وجاب جبايره

وطهارة الغالى تصبح باريه

* * *

غربلنا التراب

وفرشنا الحصير

والحاضر يصلى

على النبى البشير

* * *

فرشنا الحصيرة

تحت الداليا

وطـهـارة الغـالـــــــــــى
تـصـبـح بـاريـــــــــــه

وقد يستمر ترديد مقاطع هذه الأغانى بطريقة منغمة وبصوت مرتفع قليلا ، ولكنه يحس المنصت اليه بانه وان كان قريب الشبه من أغانى استقبال العروس قبل نزولها من « الهودج » ـ الكرمود ـ أو الجحفة كما يطلقون عليها هذه التسمية والتى تقول بعض كلماتها :

مـرحـبـا يـا لافـيـــــــــــه
يـجـعـل دخـولـك عـافـيـــة

مرحبـــا يا مرت خوى
يا معمـــرة بيت بوى

مـرحـبـا بالـلـى لـفـــــــت
جـابـهـا الـغـالـى وجـــــت

الكملة الأولى ، أى المقطع الأول من الاغنية ، مثل « مرحبا يا لافيه » يردد ثلاث مرات قبل النطق بالأبيات

الأخيرة والتى تقال مرة واحدة « أجعل دخولك عافية » ، هذه الأغانى وأغانى الختان الشبه بينهما واضح نلاحظه من حيث التركيب والأوزان والاداء ، الا أن السامع لأغانى الختان يميزها برقة الحنان التى تفوح منها ورهبة الخوف وخفوت الصوت المتوسل ، كل كلمة مليئة بحنان الأم وأخوات وقريبات الطفل وتوسلهم الى الله بأن يحفظه خوفا عليه من الطهار ، الانسان الذى يتصرف بطريقته وأدواته البدائية .

وهذه أيضا نصوص من أغانى الختان فى فلسطين نجدها تحمل نفس المعايير وقد قدم لها الاستاذ نمر سرحان(1) بقوله :

« فى احتفالات الطهور تغنى النسوة أغاني وجدانية

---

(1) تقاليد الولادة والزواج والوفاة فى فلسطين - أعده وقدمه الاستاذ نمر سرحان ضمن مجموعة البحوث المقدمة الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية سنة 1971 .

كالتى تغنى فى مناسبة الزواج الا أن هناك أغانى خاصة للطهور تناسب الواقعة وتدور حول الآلام التى يكابدها المختون » :

طهـــره يا مطهـــر وناولـــه لأبوه
يا ادمـــوع محمـــد يا لولـــو لظلموه
طهـــره يا مطهـــر وناولـــه لامه
يا ادمـــوع محمـــد بللـــت كمه

* * *

وياللـــه يا شلبـــى باللـــه عليك
جلـــخ(1) مواســـك وخفف ايديك
وان أوجعت محمد بندعى عليك

والى سنة 1935 كانت عملية ختان الطفل فى بلادنا تتم بطريقة السكين ، والحيطة والوقاية لديهم فى اتباع وتنفيذ

(1) جلخ : سن أمواسك .

أساليب المعتقد من الحروف لتى تنقش على قميص الطفل بماء الزعفران ويستحضر من بعض الاعشاب التى تنبت على جبال غريان ، وعند وضعها فى الماء تعطى لونا أصفر يكتب به الى جانب بعض الحروف على قميص الطفل نجمة سداسية يسمونها (خاتم سيدنا سليمان) مع تصاعد أدخنة البخور الى لحمة الشاة المطهية لمن جمعتهم مناسبة الختان لتعطى للطفل عند بكائه من عملية الختن ، ويقال له « اضرب بها عمك » ويقصدون به الطهار . هذا مع الكلمات التى ورد ذكرها فى الأغانى والغربال الذى تمت بواسطته غربلة التراب ، ونجده يستعمل فى معتقد آخر عند تكاثر هطول الأمطار وغزارتها ومداومتها أكثر من ستة أيام اذ يخشون أن ينتج منها ضرر للانسان أو الحيوان أو المسكن فيكلفون من يخرج بهذا الغربال خارج البيت ليمنع ـ حسب اعتقادهم ـ انهمار المطر . وفى محافظة الشرقية بمصر يتقدم

شقيق العروس[1] ويحملها ويضعها فى غربال كبير ويحملها أربعة رجال ويرقصون بها ويضعونها على الارض ويأتى بعد ذلك العريس ويحملها على كتفه ويضعها أمام أمه وبدورها تضع اناء من الماء وتطلب من العروس وضع رجليها فيه ، فمناسبة الطهور استعمل فيها البخور وماء الزعفران .

والكلمات التى تدور حول المعتقد مقفاة مغناة . وهذا أدب شعبى فى جوف المعتقد ، وقد نجد الادب الشعبى أيضا فى المعتقد فى أكثر من مناسبة . ففى اللحظات التى تسبق توديع العروس بيت أبيها الى عريسها تلتف حولها مجموعة من النسوة تقوم واحدة منهن بتمشيط شعرها ، وأخيرا يعملن حلقة شبه دائرية وتتقدم الواحدة تلو الأخرى نحو العروس وتقف كل واحدة أمامها وترفع يديها الى أعلى وتربت بها على رأسها وهى منشدة :

(1) من بحث عن عادات وتقاليد الزواج بمحافظة الشرقية بمصر ، وهذا البحث موجود بمركز الفنون الشعبية بالقاهرة .

احضر يا زين وكدس

على فلانـه بنـت فلان

الـحـشـومـة الـخـدومـــة

حـطـبـتـلـى وغـسـلـتـلـــى

ومـشـطـتـنـى وقـادرتـنـــى

ومـــا وجـعـتـنـــى

وتستمر فى اطراء محاسن العـروس وتعـديد مزاياهـا وسيرتها الطيبة ، ومع كل كلمة ترفع يديها وتربت بها على رأس العروس ولكن ببطء ، كما يفعل قسيس يبارك وليدا أتت به أمه الى داخل المعبد .

ونحن اذا ما نظرنا الى هذه الطريقة المتبعة نجد أنهـا أقرب الى العادات والتقاليد من المعتقدات ، ولا جدال فى ذلك ، لكننا نلاحظ أيضـا أربعـة أشياء يلفهـا ثوب المعتقد :

أولا :

حركات اليد التى تصحب الانشاد .





ثانيا :

الزام كل الحاضرات عرفيا بأن تفعل ما فعلت سابقتها من حيث حركات اليد فقط ، أما الاطراء فتمتدح العروس بما يحلو لها وعلى سجيتها .

ثالثا :

بكاء العروس فى تلك اللحظات ، ويعتقد بأنه ضمان لاستمرار الرخاء والمطر والاخصاب فى موطن الجماعة الحاملة لهذا المعتقد ، وعندما كنا نتساءل ونحن صغار عما يبكى العروس فى جو كان يجب أن تكون فيه سعيدة فرحة ، نتلقى الجواب ممن نسأل من النسوة (خيرك تبى الدنيا توفى) . فعدم بكائها يستنتجون منه قرب قيام الساعة ، وأما بكاؤها فهو استمرار للحشمة أو الحسب كما يقولون ، والقحط والجفاف ونهاية الحياة لا يصاب بها الا قوم غابت عنهم الحشمة وقل فيهم الحسب ، وربما يقول قائل : أى تقارب بين الدموع والمطر ؟ ولعل الدموع فى الناحية التفسيرية لدى كثير من الشعوب

الموجودة فى عاداتهم مثل هذه الطريقة ، هى خجل العروس وتأثير الفراق عن أسرتها من الأب الذى أشرف على تربيتها ، والأم التى غمرتها بحنانها الصادق الدافق ، والأخ الذى عودها على الالفة والعطف الفياض وليس هناك من مغزى ثان يحتمله أو نحمله لهذا المعتقد .

ولا نستطيع الحكم على ذلك ، فالحكم عادة تسبقه سطور وكلمات وحيثيات ، وحيثياتنا لا نصوغها من وجود الشهود وما نراه على أرضية الواقع فحسب بل نصوغها أيضا مما نجده فى طى الكتب وما نقرأه من أساليب المؤرخين والرحالة وغيرهم منذ مئات السنين فيما يتناول من المأثورات الشعبية .

ومع ذلك لا نقطع بالرأى بل نضع للسين أسلوبه وللجيم فراغه عسى أن يجد الجواب لما لم يصل اليه جهدنا المتواضع .

واذا قلنا ان دموع العروس دافعها ومغزاها الخجل

والالفة لأسرتها فقط ، فنحن نستند فى هذا القـول على الآتى :

قد يكون ذلك فى المدن ان وجـد هذا التقليد ، أمـا البادية فيربطونها بالمطر والاخصاب نظـرا لما للمطـر من أهمية فى حياتهم ، فهم يعتمدون عليها فيما تدره عليهم حيواناتهم من أرباح وما يكسبونه من الزرع والحيوان من رغد العيش .

وتقـول رسائـل الكاتبـة الانجليزية فى كتابهـا « عشر سنـوات فى بلاط طرابلس »[1] فى ص(81) وهـى تصف حياة جماعة من البدو الرحل :

« ان هؤلاء كالطيور الرحالة لا موطن لهم فاذا أقحل الموسم ولم تعجبهم الغلة من رقعة ما هجروها الى بقعة أوفر خصبا ، والبدو يبذرون القمح والشعير ويستقرون ريثما يحصدونه وينزحون . . » .

---

(1) ورد ذكر هذا الكتاب فى أكثر من صفحة سابقة .

وتنتقل بعد ذلك لوصف ثيابهم فتقول :

« يرتدى الرجال برقانات سمراء سميكة يتخذونها لباسا بالنهار وفراشا لهم بالليل . . » .

ونجد فى بعض الأقوال الشعبية ما يشدنا لهذه الاشارة ، فالرجل الذى يقول لزوجته : اذا أمطرت السماء اندبى (أى الطمى الخدود) واذا لم تمطر فالطمى الخدود .

فهذه الحكاية الشعبية[1] القصيرة تفسر لنا اعتماد البدو فى معيشتهم على المطر ، وفحوى الحكاية كالآتى :

هناك بدوى له بنتان ، واحدة زوجها الحضرى يملك كثيرا من النخيل و يمكث فى شواطىء البحر بقرب المدينة ، سأله صهره عند زيارته له عن حاله ، فأجابه بأنه بخير اذا لم يأت المطر وتفسد عليه ثمار النخيل

---

(1) حكاية (البدوى والحضرى) ، نشرت بجريدة الثورة بطرابلس فى 4 يناير سنة 1971 .

فى هذا الموسم ، وزاره صهره الثانى البدوى وسأله عن حاله فاجابه انه بخير اذا من الله عليه بالمطر .

فالمطر بالنسبة لزوج ابنته الأولى الحضرى ، مصيبة ، أما بالنسبة لزوج ابنته الثانية البدوى فالمصيبة عنده فى عدم هطول المطر .

وفى بكائيات النساء[1] بالريف المصرى كلمات تنعى رب البيت وتفسر اعتماده على الزرع . تقول الكلمات :

ياما ذرى بالمذرايا
وياما كلنا من ايديه
وياما دخل قمح ورز
وياما طار التبن عليه

وكذلك نجد هذا التصور فى تفسيرهم للاحلام ، فالشخص الذى يروى رؤياه للآخرين بأنه قد بكى فى

---

(1) من بكائيات النساء فى الوادى الجديد بجمهورية مصر العربية .

منامه يفسرون له هذه الرؤيا بان المطـر آت وغزارتـه أو ضآلته حسب غزارة أو قلة دموعه فى هذه الرؤيا . . هذا بالاضافة الى ما نجده من تقارب لما قرأناه فى كتاب تراثنا القديم « نهاية الأرب فى فنون الأدب » لجمال الدين أحمد عبد الوهاب ، وهـو كاتـب مصرى تنـاول التصـورات الشعبية فى ثمانية عشر جزءا من كتابه ، وفى الجزء الثالث (ص22) يقول : بصدد التصور الشعبـى حول نزول أبينا آدم وأمنا حواء من الجنـة ، « قـد نزلـت بالأراضى المقدسة ومن دموعها حزنا على خروجها من الجنة قد نبت القرنفل وأشجار كثيرة » .

وهذا المؤلف قد عاش بمصر فى الفترة بين سنة667 الى 737 هجرية أى هذا التصور نفسه العالق باذهان بنـات حواء الى يومنا هذا ؟ . . مع التحريف الـطفيف الـذى جرى عليه ، وهـو بدلا من أن تنبـت دمـوع العـروس المفارقة لبيت أبيها زهورا وأشجارا أصبحت دموعهـا فى تصورهم الآن ، ضمانا لاستمرار هطول المطر الذى هو





عماد الحياة الاساسى للزرع والحيوان والاشجار والازهار معا فى موطن هذه الجماعة . هذا مع ملاحظتنا أن بيت الأب بالنسبة للفتاة فى الريف يعتبر جنتها لانها عند مغادرتها له ستتحمل مسئولية الزوجة فى الريف ومسئوليتها ثقيلة شاقة ليست بخافية عن المطلعين والذين عاشوا هذا القطاع من الشعب ، فالمأكل تحصده زرعا فى موسم الزرع ، وبعد الحصد تتولى تفريكه ، أى دقه بالعصى وتحمصه على النار وتطحنه وتغربله وتطهيه بعد قيامها باحضار الحطب والماء ، هذا الى جانب مشاغلها الأخرى .

ونجد فى احد الأمثال الشعبية التى تتردد على لسان النسوة اعترافا بأن بيت الأب جنة لها حيث تقول مؤكدة صبرها وتضحيتها من أجل عش الزوجية :

« نار زوجى ولا جنة أبويا »(1)

---

(1) من الأمثال الشعبية المصرية .

وفى صفحة(82) من كتاب « عشر سنوات فى بلاط طرابلس »[1] وفى احدى رسائل الكاتبة الوصفية وهى مادة الكتاب المذكور تقول بصدد الحديث عن ساكنى ضواحى طرابلس :

« الصبيان والبنات منهمكون فى رعاية الأغنام ، والزوج يحصد الزرع ، والزوجة تطحن القمح على الرحى أو منهمكة فى الحياكة . . وقد قدمت لنا بدوية طبقا من الكسكسى فى سمة من الاخلاص وبدا عليها الشعور بالخيبة والاهانة حين رفضنا أن نتذوق طعامها ، والنساء لا يخلعن أساورهن وخلاخيلهن مع أنها قد تعوقهن عن العمل لثقلها » .

رابعا :

المعتقد المتمثل فى ايقادهم لنار السامر وأغانى الهودج والتى سوف نتعرض لها ، أما الدليل على ما تردده النسوة

(1) هذا الكتاب سبق ذكره فى الصفحات السابقة .

من تمجيد لمحاسن العروس فهو أدب شعبى نلاحظه فى الآتى :

حسن الاسترسال وتناول الجوانب الحسنة من خصال العروس ، مما يعطى للالفاظ سلاسة وجزالـة ، ونلمس فى طريقة الأداء وضوح الاعتزاز وصدق التعبير وسلامة تركيب الابيات ونمطها الشعرى كقولهن :

احضر يا زين وكدس
علـى الـصـبيـــــــــــــــــة

الـهـديـة الـرضيـــــــــــــــــة

للجـــار ما قالتش كلمـــة كيه
والناس ما شدو عليها سية

ومن المعتقدات السارية أنهم لا يسمحون للمرأة التى طلقت وتزوجت برجل آخر أن تضفر للعروس شعر رأسها ، ويقولون لها (المتحولة) أى التى فارقت بيت الزوجية الأول .

وفى واحة الجديدة[1] بجمهورية مصر العربية ، لا تضفر العروس سوى فتاة لم تتزوج بعد .

ومن ضمن الأغانى الليبية التى تتردد فى بيت العروس ، أغانى الحنة والقنديل ، ومن أغانى القنديل :

شيعوا القنديل الفوق
بزيت غريان
بيش نشبحوا
مجلى النيبان

***

شيعوا القنديل فوق العلالى
بيش نشبحوا زول الغالى

---

(1) واحة الجديدة : احدى واحات محافظة الوادى الجديد بجمهورية مصر العربية .

واغانى « العلاقة » وتسمى أغانى بو طويل وهــى أن كل اثنتين من النسوة يرددن الغنوة ثنائيا :

بالله صلــوا يا حضار
اكبــار وصغـــــــــار

على النبى مشعشع لانوار

***

جاب العلاقــة مرصوصة
مــولاى قوى ناموسه
حلــوا العلاقــة المصوابه
رقيــقــــة العصـــابــة

ربة كرم وشر هابه

ومن أغانى الحنة :

مدى ايدك للحنــة يا كنة
خـلـى عـريـسـك يـتـهـنـــى

***

ومن أغانى الحنـة فى جمهـورية مصر العـربية كلمات سمعتها بواحة الداخلة(1)

على سن الأكرة(2) يا وله
عـلـى سـن الأكـــــــــــرة

والحنـــة الليلـــة يا وله
والـدخـلــة بـكـــــــــــرة

وفى ليبيا قبل نزول العروس من الهودج الذى يتبعـه جمع غفير من الرجال والاطفال والنسوة اللاتى تنهمك فى الغناء طول مسافة الطريق الى بيت العريس ويسمى غناء بو طويل ، ويتنـاولن فيه تمجيد الرجولــة والفـــروسية والتوصية بأن يخطو الممسك بمقـود الجمـل « الشكيمـة » خطوات وئيدة بلا اسراع ولا تعجل مثل قولهن :

(1) واحة الداخلة بمحافظة الوادى الجديد بجمهورية مصر العربية .
(2) سن الأكرة . . مفتاح الباب .

ساعد جملها يا شوشان

يا عبد رطان

لين نوصلوا بيت العصران

كارم الظيفان

حجب على الزين

*****

مبروك يا غالى مبروك

على امك على بوك

وعلى الجماعة اللى حضروك

حجب على الزين

*****

بالله صلوا يا حضار

كبار وصغار

على النبى مشعشع لانوار

امبارك ومبروك

*****

انشا الله نهار الغالى نور
مسقم الشور
انزوروك بشمعة وبخور
حاضر محمد

* * *

هذا نهارك يا صنديد
ضنوت أجاويد
اللى شبحهم فى العمر يزيد
مبارك ومبروك

* * *

يا سعد يا مسعود ارزم
ووقف تحزم
ووقت النادى قول نعم
حجب على الزين

* * *

هذا نهـــارك يا رقيق
يا حلــو فى الريق
وعلى غيابــك ما قدرت نطيق
حجــب علــى الـزيــــــــن

* * *

واللى جانــا نبغــو أنجوه
بـالفــرح نـاتـــــــــــوه
تجــى الاعمــاره ونــــــردوه
حــاضـر محــمــــــــــد

* * *

انشــا الله نهــار الغــالى فال
تنحــل لقفـــــــــــال
من المدينــة لا لجبال
حجــب علــى خـــــــوى

* * *

هذا النهـــار اللى نمل

وعليـــه نحـمــــــــــــــل

أنـــا طلبـــت يا رب كمل

حــاضــر مـحـمـــــــــــــد

❋ ❋ ❋

هذا النهـــار اللى نبيه

والقلـــب شـاهـيـــــــــــــه

وأجعـــل محمـــد حاضر فيه

حجـــب علـــى الـزيـــــــــن

وكثيرا ما تقفل الأغنية بكلمـة حجـب على خوى أو حجب على الزين بدلا من كلمة حجيب على خوى .

وفى لحظة وصول موكب العروس لفم البيت القادمة له يضع أهل العريس طفلا فوق البيت ، وتعطى له خرقة يومىء بها ناحية العروس .

ومع الاغانـى التـى ذكرناهـا وتؤديهـا النسـوة ، تمـد



العروس يدها الى اناء الماء وترش منه شيئا فى فم البيت عند وصولها ، وكذلك ترش التبن . وأما عقال الجمل فتقذف به فوق مشرف البيت ، وهذا المعتقد متبع أيضا فى واحة الجديدة[1] بجمهورية مصر العربية مع اختلاف بسيط فى طريقة أدائه ، وهو أن العروس تضع يدها المبللة بالماء فوق باب دار العريس سبع مرات . وفى الجوش بليبيا تضرب البيت بحفنة من الجبس فاذا ما لصقت كانت حياتها الزوجية ناجحة حسب اعتقادهم ، ويتبادر الى أذهاننا من قراءة وسماع بعض أغانى الاستقبال هذه والمتبعة فى ليبيا مثل :

مرحبا يا لا فيه
اجعل دخولك عافية

ان الوجدان الشعبى قد يلجأ أحيانا لتلوين صورة المعتقد لتبقى عالقة بالاذهان بوصفها شعرا جميلا فى

(1) ورد ذكر هذه الواحة فى أكثر من صفحة من هذا الكتاب .

كلمات عذبة ترفرف معها النفوس وتغوص فى أعماق الوجدان .

وبقى سؤال : ما هى المأثورات الشعبية التى هى أكثر التصاقا بحياة الناس ؟ .

وأقول ـ فيما عدا ما يتصل بالعادات والتقاليد والجوانب الوطنية والدينية ـ لا نستطيع تحديد لون معين من ألوان هذه المأثورات لنقول ان هذه أكثرها التصاقا وانتشارا بين عامة أبناء الوطن العربى ، لأن ذلك مرتبط بما تحمله هذه الجماعات من ثقافة شعبية وما يميلون اليه بحكم بيئتهم ومناخهم وظروفهم الاجتماعية .

والذين يتكلمون عن الثقافة الشعبية وهم فى أبراجهم العالية يقيمون مأثورات الشعب ويصدرون أحكامهم فيما يصل بن أيديهم من مادة لا تمثل الا النذر اليسير من مجموعة ثقافة الشعب ، هؤلاء مخطئون ، فنحن لا نجادل بأن الشعب العربى على طول امتداده تربط بين أبنائه

روابط وثيقة عامة الا أن هناك ثقافات فرعية قد تختلف بين بلد وآخر ، وقد تختلف بين قرية وأخرى ، وقد تختلف بين ساكنى الحى الواحد . فالتاجر مثلا لا يردد المثل القائل « اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب » مثلما يردده غيره ، ولا يصدق من الغيبيات الا ما يتعلق بأمور دينية ، أما فى الماديات فلا يمكن أن تجد القبول لدى عقلية عرفت أن واحدا يساوى واحداً وأن الصفر يساوى صفرا فى مفهوم الرياضيات .

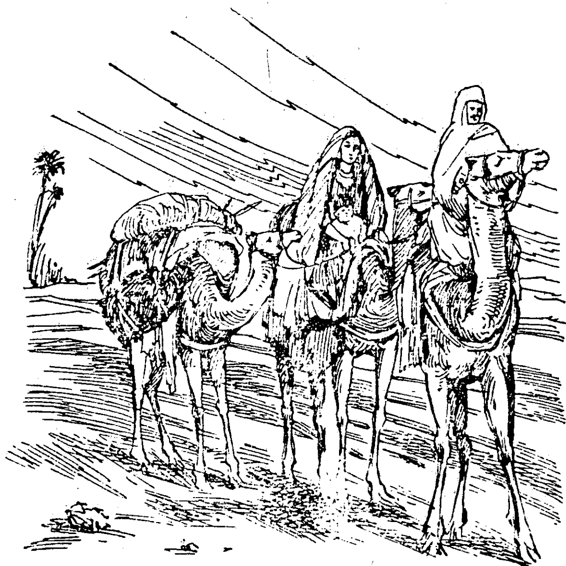
والمقيمون فى أطراف الصحراء العطشى لا تدور أغانيهم حول تلاطم أمواج البحر الا فيما ينسجه الخيال الشعبى حول رحلات ربان السفينة التى يشبه بها الشاعر ضياع حبيبته وهجرها وشوقه اليها وحرمانه منها ، وكيف ان هذه السفينة قد عصفت بها الرياح وغرق ربانها بين تلاطم الامواج ، كما انه قل ما يجنح الخيال الشعبى فى شواطىء البحر ، فى ابداعاته لكى يحمل انتاجه ملامح حرقة الشمس فى الصحراء أو لهفة العطشان وهو بين

بحور السراب ، فالثقافة العامـة التـى تربـط بـين أبنـاء
الوطن العربى هى الدين والدم والتاريخ والأرض والمناخ
والعادات والتقاليد والمعتقدات . أما الثقافة الفرعية فلا
نستطيع حصرها ، فهل يبكى الحضرى مثلا حظ الأبـل
وهـو لا يعـرف عنهـا أكثـر من انـه يشتـرى لحمهـا من
القصابين ؟ وكيف يلام ولا فضل لها عليه مثل ما عرفها
وبكاها شاعر البادية بما سنقدمه فى الصفحات القادمة .

الإبل في ضمير الشعراء

يـــا ملاه يا بنـــت ليبل
سيادك وين عدو للعمل
يا ملاه يا بنـــت الحنينة
سيادك وين عدو للمدينة
بديو شبـــح زولك كارهينه
ضاقـــو الليم ويكال الفجل
وكنتـــى قبـــل فى زمـــزم ونينه
وسى حران حـــيران همل
وكنتـــى قبـــل تطـــرى سمينة
ايفـــوت الصيف ما يخشـــك رحل

اخيار الكسب ياللى عارفينه
اركوب الخيل وبنات الخول
وتبغى سيد ما يرفع عوينه
يضرب ريم قدامك جفل
يقلك باطله يجيبك سمينه
تبدى كيف فرقان الحجل
رافع بندقه ولا ريل عوينه
ويشرب بر من ثديك عسل
تبغى صقر ما يحنث ايمينه
ومتبغيش قراظ البصل
مركب طنجره ويقلب فى عينه
قباله شبحته متعت فسل
غاب سنين ناسه فاقدينه
حصل عمل يخدم فالدرل
سيب عيلته وسيب جنينه
كاسب صحته كيف الجمل



تبغى صقر ما يحنث يمينه
انجاك الغير يضرب ما يذل
جميلك بان وقت ما مشينا
قطعتى رمال وخشوم الجبل
وردتى بيار ميتهم ظنينه
فيهم غير زرزور النحل
كسب البل بتعقب سنينه
يا مالاه يا بنت الايبل
اعتزنا فيك يا شينك غبينه
داير كرهبة سيدك حصل
يبى النافطة يبغى البنزينه
انفلقت قومه ليها نزل
وجاء للمدن جوه ملاقيينه
جاء عيان فى الورشة انسبل
وعشرة جنيه قالو له عطينه
مد اطناش على ربى اتكل

ازكب أودار دورهــا هاوينه
خش فى سروالــه صابــه خلل

نور الــدين ياللى عارفينه
حصــل عمــل فى الظاهــر نزل

تبــع عمــل فى الشركة هاوينه
كلا ناقتــه راحــت ضلل

امــالى الــزرع هاللى راعيينه
حطــو ناقتــه فى فنــدق التل

وقــت انجيتهــم قالــوا عطينا
هــات فلــوس وانطــح ها الجبل

فى وســط المجــزرة راســك هوينه
سيادك زوفــرو ضاقــو الغلل

يا ملاه يمــات الشنينة
والبــازين ووريق النخل

يا حضـــار صلــوا على نبينا
أنــا استغفـرت ما تقولــو جهل[1] .

وهذه قصيدة أخرى يقول صاحبها :

سابــت بنــات القــود سيبناها
لا عــين لا ركبــه تمشى معاها

* * *

ما فيه من سايلها
ولا عاد ناقــه رافقوهــا هلها

ايكال السوانــى والنخــل كملها
جربــت ومــا لقيتش من يطلاها

* * *

(1) نور الدين العزومى . شاعر شعبى من سكان مختارية المقارحة . محافظة غريان .

اللـــــى عـــــزوهـــا

ويباتـوا سهـاره من العــدو يفكوها

عليهــم منــايا حايســه خلوها

لجيل ما يجبــوش حتــى الغاها

شرك النصــارى وينهــا يخشوها

بــديت ذوايح والنخــل مفلاها

العرجــون ربــع جنيه لا شدوها

وبأمــر الحكومــة يدفعــه مولاها

وعساسهــا بجنيه كان سقوها

وعشرين ياخذهــم اللى عشاها

وهــذا على كحيلــة بعــد خلوها

اجــاويد كانــوا يعرفــوا معناها

اينوضــوا عقــاب الليل ويشوفوها

مــن غراب لقلــب الــظليم عفاها

* * *

كــان عنـدهــا مـــــــــــرارة
تمشى بلا سواق للجزارة
هى عزهــا وادى عفــى نواره
اللى فيه يروى سيدهــا وضناها
وروسيدهـا كيف العلــم فى القارة
يشبــح اللى قدامهــا ووراها
والله كيف ضارى بالــدبش وغراره
ان جت لا فيه يفــرح اليا لاقاها

***

راحــوا صحــاب الغيــــــرة
اللى فى جنبهــا يمشــو بلا تكديره
توه شهــادة من يخش سريره
بمـداس بعــد الكنــدره(1) بواها(2)

---

(1) الكندرة ـ الحذاء .

(2) بواها ـ قام بتلميعها .

وفى حوش باهــى عاد وسباتيره

وفيه شيشمــة ديمــا يزيعــب ماها

❊ ❊ ❊

البــل شــن سبتهـــــــــــا

قــدا ناس نسييت نفسهــا ونستها

كأنهــا انذبحــت يفطــر بكبدتها

وحليب ضرعها شيشة عصير فداها(1)

وهذه قصيدة للشاعر المرحوم عبد المطلب . .

البــل عز النفس وانعــم بيها

وهــى عزهــا بالخيل يحــذو فيها

❊ ❊ ❊

اتعــز الخــايـــــــــــف

وهــى عزهــا سبــق سمان رهايف

---

(1) الكلمات سجلت من الشاعر الشعبى السنوسى السايح من بلـدة الزيغـن بمحافظة سبها .

يجـن كيف فرقـان القطـا لو لايف

اليكان خاوى الجـوف يرزم فيها

يجــن خيل هلهـا دايرات ضفايف

على كل مكرومــة سماح ايديها

***

سمـــاح حجـلـهـــــــــــا

ومصبطــة من لربعــة بنعلها

ولا هو على علقــة المرأة تاكلها

تسقــط عقــاب الليل وتعشيها

على غالية كيف ولفتــه مدللها

كل واحــدة فى حظهـا حاظيها

هذى بى عدة واللبــب قوزها

بــدت منية الخاطــر اللى شاهيها

وهــاذيك بنـت الأصــل فوق جملها

دوب ما يدادى بالبتـات وبيها

بنت أصل من مفصـل مليح نسلها

مـا هى نجيلـة ضالـة لاقيها

عليهـا يروح صقرهـا مدللها

زين الخصـايل عينهـا ماليها

❋❋❋

البـل عـز العشـــــــــــه

وهـى عزهـا سبـق اتجـى تتطشا

عليهـا سروج ملاح ما هن قشه

واركب مثـل النجـم يضـون فيها

وزنـاد بوصطـرين طالـق بشه

مـركب على مقـرون من صاطيها

❋❋❋

البـل اتعـز الغاير

وهـى عزهـا سبـق تجـى تتطاير

ايذا كان شن بيصــير والا صاير
وكشــح رقيق السفــو فى ذاريها
يجـن بنــات هلهـــا لاويات مراير [1]
تزغــرت على خالهــا اللى حاميها[2]

ومن بلدة سرت أكثر أهل البادية عناية واهتماما بتربية ماشية الابل دونا هذه القصيدة[3] :

البــل اجنـــاح البــادية القديمة
مــراكب بلا حراك لا بريمه

***

البــل اجنــاح الهـمــــــــــــــة
مليح فعلهـــا وعيب المليح انذمه

---

(1) مراير جمع مريرة وهى الحزام الذى تلف به المرأة البدوية ثوبها .
(2) الشاعر عبد الجبار عبد الرحيم ببلدة سرت بليبيا .
(3) الراوى . السنوسى السايح . من بلدة الزيغن .

والبـــل يروق النجـــع وين تغمه

الـــدير خلقهـــا الله دار كريمة

أبابـــير لا صار الـــرحيل اتضمه

لهـــا صبـــر لا منـــا ولا تكليمه

***

البـــل جنـــاح الهيبة

اتغـــزك اليا صار الـــكلاح عجيبة

والبـــل الحـــى تبعـــده وتجيبه

وتعـــرف دروب الغايبـــات فهيمة

والبـــل مولاهـــا يجيه نصيبه

غـــير سايبـــه ما عاد ليهـــا قيمة

اليوم هالتـــك خالـــة اليأس عظيبة

يا موانســـه الشراد ولـــد الريمة

اليوم هانـــك فى الأوطـــان ذهيبة

لا منـــو سالك لا نشـــد لا سيمه(1)

---

(1) السيمة ـ علامة تتميز بها ابل كل قبيلة عن الأخرى .

عليك نازلـة ريشـة اجنــاح السيبه

بعــد عز وليتــى تقــول يتيمه

❋❋❋

البــل جنــاح الجــالـــــــــــى

ايام الجـــلاء والحـــرب والايطالى

بهــا كافحـــو مدة سنـــين طوالى

وهـــى فى سعـــاد المؤمنـــين خديمة

وهـــى اللى عليهـــا الـــواطية والعالى

وهـــى اللى تصـادر فى العـــذاب تقيمه

ومـــن سوق خامـــى نتقـــت لعيالى

منـــين كل والملعـــب كثـــر تشريمه[1]

وخشـــت مع رقــراق خالى جالى

بعيد فيه ما تلقـــى طريق سقيمة

اشيانـــن جهايمهـــا ارقـــاب الرالى

شـوت بعـد ما كانـت زمـان زعيمة

---

(1) الملعب كثر تشريمه ـ غامت الامور .

اليوم شاكية دارت عزاء ومشالى

مـن حقـر خلاهـا تمـوج عديمة

ولـت اتقـول ان كان شفـك حالى

بـديت سايبـه بالحـق موش نميمة

اليوم للظـل مانيش حتـى الوالى

بـين الجـرب واللـز والتشتيمة

ونسبـق ولات الصبـح نشرب تالى

بعـد الغنـم والبهـم نعقـب ديمه

واليوم وين ما نشرب يتـوق خيالى

ايصير الزريك اتصـير لى تغشيمة

انصابـى بلا رادة نوسـع بالى

على حالتـى قدرة الله حكيمة

***

البـل بعيـد خبـرهـــــا

وسيع شبحهـا ماشى أميال نظرها

والبـــل صوايب واجـــده تقدرها
اجـــواد غـــير هى قدرة الله حكيمة
عليك كسبهـا حتـى الغلـــم فخرها
اللى قبـــل كانـــت ما تجيبش ليمه

ويتساءل الشاعر فيقول فى شعـره لمن اهمـل الابـل وسخر من القائمين بتربيتها والعنـاية بهـا ونسى صبرهـا وشدة تحملها للعطش وقدرتها على السير وسط الصحراء التى كثيرا ما كان ينقصها فيها الماء والعلف وكأنه يذكره بمكانتها فى السابق وقيمتها وأهميتها فى مجال المواصلات فى حالات الحرب والسلم وقضاء الفرائض الدينية ، فقد كانت وسيلة الحجيج فى تنقلهم عبر المسافات البعيدة الى بيت الله الحرام . ثم مزاياها الأخرى ، حرثها ووبرهـا وحليبها ، فشاعرنا يذكر فى الابل كل هذه الصفات وهو يتوجه لنا باللوم من أجلها قائلا :

نسيت حرث صابتهـــا نسيت سفرها
نسيت شيلهـــا وان الـــرحيل وريمه

ونسيت يا تاجـر فى الكتـوف دبرها

مـن نقلهـا فى الثقـل فوق القيمه

ونسيت يا زاير يوم فى مزورها

طافـت على عرفـات ومواهيمه

ونسيت يا مجاهـد يومهـا حاضرها

ركوبـك وزادت فوق منـا هديمه

وانسيت يا مهاجـر كى ما تنكرهـا

قـداش قاطعـه رق السرير وغيمه

وقـداش فى قداش بأمايـرها

قـداش من هلهـا تشيل ظليمه

والبـل جميع الواعـرة تقدرها

لهـا صبـر من ربـى الـكريم تقيمه

واليوم من السيبـة من كسر خاطرها

اتخمـم تفـكر من الزمـان وضيمه

على ظهورهـا قاعـد حويل وبرها

سنـين طايلـة قاعـد بلا تجليمه

وفيه منو عنده اتكيد من ينزرها
في خيار خيره في رغيد نعيمه
لمد طوارفها وجاء حادرها
جميع جابها للسوق من تخميمه
وحين ما وقف فيسع لفى تاجرها
ذباح موسه صنعته التلحيمه
يضيقن خلوقى وين ما نذكرها
ايفوت الكلام المر في تعميمه

ونريد أن ننبه الى أن كثيرا من الأمثال الشعبية لا تعطينا من حيث انتشارها دلالة على أن لها صيرورة حقيقية وقديمة بين جميع الاقطار العربية ، ذلك ليسر وبساطة جمعها من الرواة واختلاط الطلبة فى الجامعات هو الآخر له دور كبير فى هذا الانتشار فى وقتنا الحاضر . ذلك من خلال ما يقدمون من بحوث مقررة عليهم من قبل جامعاتهم ومعاهدهم ، وأول ما يتناول الطالب فى بحثه هذا المجال لأنه لا صعوبة فى تناوله ، وبهذا قد تم لبعض هذه

الأمثال انتشارها ، ونعود الى الحديث عما ذكرناه من أن الثقافة الشعبية الأكثر التصاقا بالجماهير والتى يجب التركيز عليها والبحث فى نصوصها من قبل الباحثين والمتهمين بالعناصر المشتركة فى ثقافتنا العربية الشعبية ، هى التى نجدها فى كثير من الأقطار العربية قريبة الشبه أو منتشرة طبق الأصل أو متفقة من حيث ما تؤديه من وظيفة أو معتقد ، ولو كانت مختلفة فى صيغة الأسلوب الشعرى أو الكلامى ، وهو ما اثبتته بعض فصول هذه الدراسة وغيرها من الدراسات وهذا ما يعطينا الدليل على أن الأمة العربية ترد الى نبع واحد منذ الأزل ، فلم يفتر حنينها الى رؤية أى جزء منها مهما قسمتها حدود الاستعمار الوهمية وارتباطها بثقافتها الشعبية كارتباطها بالأرض ، ذلك لأن ما نجده من عادات لدى تلك الريفية البسيطة فى أى جزء من أقطار الوطن العربى الكبير هو الخيط الوثيق لمن يتبعه ، والاساس المتين لمن اراد الاستناد عليه ، وهذا لا يتأتى الا للباحث الذى يجوب أرياف الوطن العربى

مستعملا آلاته اللاقطة للصوت وعقله المتيقظ لمهمته وفكره المتشبع بتخصصه ، على ألا يتعدى بحثه الدراسة المقارنة أو مناقشة وظيفة هذه المادة التى قد يحصل عليها ، اما موضوع من أين أتت هذه الثقافة أو من المستفيد من الآخر ، فهذا يمكن أن يأتى فيما بعد أو تركه اجدى من الخوض فيه ، اذ أنه كالجدل حول البيضة والدجاجة ، ومن السابق للآخر ، فالسيدة البسيطة التى لا تعرف القراءة أو الكتابة ونجدها تمارس نفس العادات والمعتقدات المتبعة فى أى جزء من الوطن العربى الذى يفصل بينها وبينه مسافات شاسعة ، كيف قلدتهم فى عاداتهم وفى تمسكها بها وكيف أيضا استفادت منها اختها العربية الاخرى اذا كانت هى الحاملة لهذه المأثورات التى ورثتها عن جدتها وجدتها عن سابقتها ، ومن فترة عميقة فى مجاهل الزمن الى وقتنا الحاضر ، وهذه الثقافة لم تهجر عقول الناس ولم تهجرها الناس . فالوحدة العربية موجودة اذن فى ثقافتنا الشعبية وعاداتنا وتقاليدنا وكثير من

معتقداتنا أيضا ، وحتى نسهم بنصيب متواضع فى اعطاء صورة واضحـة للقـارىء العربـى عن بعض مظاهـر المأثورات الشعبية فى وطنه العربى ليبيا ، قد اعطينا نبذة عن مناسبة ميلاد الطفل والختان .

وفيما يلى سوف نتحدث عن مناسبة الزواج :

الخطوبـــة

قديما كانت تتم الخطوبـة فى معظـم مناطـق الـريف الليبى عن طريق رغبة الاسرتين فيما يرونه من توافق قد يسود حياة الزوجين ، الا أن للقرابة دورهـا الفعـال فى التغاضى عن بعض نواحى النقص التى يراها طرف من الاطـراف قد تتمثـل فى شخص العـريس أو العـروس عاملين بالمثل السائد بينهم « ملس من طينك يبقـالك » وغالبا ما تتغلب الفتاة فى صراعها مع نفسها بأن تتغاضى عما تراه فى ابن عمها وعريسها المنتظر من عيوب تصوغ هذا الصراع النفسى فى كلمات ترددها فى مناسبة الأفراح أو عند خلوتها مع زميلاتها لاستجلاب الحطـب أو الماء فنسمعها تقول :

يا ولـــد عمـــى يا لحـــم ذرعانى
دخـــولك على خـــير من برانى

وتتفق معها الفتاة العربية فى فلسطين فى الاعتزاز بابن العم فتقول :

يا ابـــن العـــم يا شعـــرى ع ظهرى
ان جاك الموت لارده ع عمرى

يا ابـــن العـــم يا ثوب الحريرى
لاحطـــك بـــين جنحاتـــى وأطيرى

وأهدى بيك ع برج الخليلى

ما هى نظرتنا لهذه الـكلمات القصـيرة فى تركيبهـا ، البسيطـة فى لفظهـا وابياتهـا ، الواضحـة فى هدفهـا ، العميقة فى مغزاهـا ، ان الأدب الشعبـى كثـيرا ما يقف مدافعا عن استمـرار تماسـك الأسرة وارتباطهـا بالعرف الاجتماعـى ، ويرى فى تماسكهـا انمـا هو تماسـك للمجتمع ، وهناك اختلاف بين الريف والمدينة فى طريقة

اتمام الخطوبة ، ففى المدن تذهب أم العريس أو احدى اخواته أو قريباته لأم الفتاة ويتم خلال زيارتها تعرف سريع على العروسة وأسرتها وتفضى لهم برغبة عائلتها فى مصاهرتهم اذا ما اتفق جو الأسرة المضيفة لها مع مزاجها ، وتتولى أم الفتاة الاجابة المبدئية عن اسرتها فى القبول أو الرفض ، فاذا قابلتهم بالترحاب ترجع كل منهما الى رجل البيت وتخبره بما تم الاتفاق عليه ، وعند قبوله لهذه الخطوبة تحدد معه النقاط الأولية المتعلقة بما سيقدمونه لأسرة العروس وترجع مرة أخرى ، وفى الزيارة الثانية يتم نقاش مطالب الاسرتين من حيث ما يجب احضاره من ملابس وحلى وتكاليف للعرس ، وحسب قدرتهم المادية تبرز مشكلة المغالاة والمباهاة ، الا أن هذه الجماعات المتمدينة بالمقارنة لأهل الريف لا تختلف عن الريف فى المحافظة على العادات والتقاليد والمعتقدات المتبعة ، والتى كأنها وجدت لتنظم هذا السلوك المتعارف عليه فيما بينهم ولتنفذ وتضمن بقاء هذه

الأغانى والتعاويذ والتمتمات التى لا يختلف البعض منها عن عادات أهل البادية الا فى طريقة ووقت تنفيذهـا أو بعض تفريعاتها .

وليلة النجمة عند أهل المدينة تكفى مصداقـا لقولنـا هذا ، اذ تخرج العـروس فى آخـر الليل وتجلس وتتجـه بوجهها تجاه نجمة معينة وتبقى متجهة لها وكأنها تؤدى لها صلوات العابد المختلى لمناجاة معبوده ، فى خفوت يشبـه الصمت ، وفى ضراعة تفصح عن ذل المخلـوق وشـدة حاجته لرحمة خالقه ، وما سر مناجاتها لهذه النجمة فى ليلة النجمة المسماة عندهـم ، فالبعض يقولـون انهـا ترسـم الامانى الحلوة لمستقبل حياتها الـزوجية وتطلـب من الله تحقيقها ، ولكن هذا ما لا نجد الاجابة عنه دون القيام بالعمل الميدانى فى بيئة هذه الجماعات .

وفى الريـف تختلف طريقة الخطوبـة عن المدينـة ، اذ أول ما ينبش موضوع الاختيار للعروس هى الأم بكلمات

تهمس بها الى زوجها بأن تقول له بنت « فلان » لها من محاسن الاخلاق والحشمة ما كانت تتمناه لابنها فلان ، وكثيرا ما تركز الأم فى ذكر محاسن الفتاة على شيمة الصبر فى تحملها لأعباء الحياة والطيبة والرصانة ، أما الجمال فغالبا ما يحذف ذكره أو يأتى فى مؤخرة الكلام لا فى مقدمته ان توفر فى تلك الفتاة المراد خطبتها حتى تراهم يقولون عن ذلك فى أمثالهم الشعبية « قرد موالف ولا غزال شرود » . وعند اقتناع الأب بهذا الرأى يعقد العزم على مفاتحة ابيها بحضور أحد الذين لهم مكانتهم بين هؤلاء الجماعة ، وغالبا ما تتم مشورة عم الفتاة ، اذا كان له أولاد فى سن الزواج ، ووجدوه يرغب فى زواج أحدهم منها ، رجعوا دون التفوه بكلمة واحدة ، أما اذا نالوا موافقته اعتبروا ذلك انتصارا لهم وصحبوه معهم ليحضر هذه الخطوبة ، والمهر فى الريف كان قديما يدفع من ماشية الابل أو الغنم والعدد لا يتعدى ما هو متبع حتى لو كان هذا الخاطب قادرا على دفع الأكثر لا يلجأ

للمغالاة والمباهاة احتراما للعرف الجارى بينهم الا اذا كان غريبا عن بلدتهم فيحملونه أكثر مما هو متبع ، وقد اختفت بين معظم سكان الريف عملية سداد المهر من الماشية وأصبحت بالنقود تبعا لتطور ظروف الحياة فى عصرنا المعاش .

الرغاطة

البدء فى مراسم الاحتفال وأوله « الرغاطة » وهى نظام تعاونى بين المواطنين ، توارثته الأجيال وتعارفت على فوائده الاجتماعية والمادية والانسانية ، يجسم مشاركة الجماعة بعضهم لبعض لتخفيف أعباء الحياة على فقيرهم أو لانجاز ما يتفقون عليه من أعمال تتطلب سرعة التنفيذ بالعمل الجماعى لصالح البلدة أو الجماعة ، ويتطوعون به من أجل فقير معدم أو انسان أقعدته عاهة ليشعروه بأنه فرد منهم وان قل ماله أو انعدمت ماشيته أو تغرب اخوته وأولاده وتركوه وحيدا ، فمن حوله جميعاً له بمثابة الأخوة والبنون ، وتطلق كلمة « الرغاطة » على كل عمل يحتاج الى مجهود عضلى يجتمعون من أجله ويقومون بتأديته فى

موسم حرث أو حصاد أو الدراس وتصفية الحبوب ، وقد يكون استجابة لطلب انسان ميسور لم يستطع « خماسته » أى عماله التغلب على ما ينوى بذره من الحبوب فى موسم الحرث ، أو طالت بهم مدة الحصاد وأصبح زرعه عرضة لمطر الخريف ونهب طير ووحش الفلاة ، وقد تكون لفتة انسانية من المشتركين فى هذه « الرغاطة » من تلقاء أنفسهم تجاه انسان عرف بكرمه وتقواه وصلاحه ولا يملك شيئا من الماشية والحبوب ، فيتبرع كل واحد منهم بيوم عمل من أجله ويبذرون له ما يتركه يشعر بترابطهم معه ونظرتهم الداعية بارتباطه بهم وحتى لا يشيح بوجهه عكس الناحية التى تتجه اليها أبصارهم وهم يرصدون سير السحاب أو شعاع البرق فرحا وأملا بأن تمر سحابته الممطرة على أماكن زرعهم ، وقد تكون « الرغاطة » أيضا من أجل أطفال يتامى ، أو ضرير أقعدته عاهة ، وقد تكون عند حفر الآبار أو نظافتها مما تراكم بها من رواسب . وتطلق هذه الكلمة

أيضا على تعاون نساء البلدة أو مجموعة البيوت فى طحن الشعير أو القمح الذى ينوى صاحب العرس جعله أكلة فى مناسبة الزفاف والتى كثيرا ما تكون منها « البـازين » و« الكسكسى » .

وأكلة البازين تعتبـر وجبـة رئيسية لأهـل الـريف ، وأكلة شهية لأهل المدن وتسمى كذلك بالعيش(1) .

أما طحن الحبوب فى الرحى فقد تصحبه أغانى تختلف فيها أغانى « الرغاطة » عن الأغانى الأخرى ، فكلمات أغانى الرحى فى غير مناسبة الرغاطة كثيرا ما تصور مقدار ما عليه المغنية أو الراحية من تعب فتسمعها وكأنها تشكو مرارة ثقلين قد ارهقا كاهلها ، ثقل الرحى وثقل الحياة ،

---

(1) وهناك فرق بين البازين والعيش ، فالبازين طريقة طهيه تتطلب مجهود أكثر من العيش ، اذ يعجن الدقيق أولا على شكل عجين الخبز ، ثم تصنع منه اقراص ثم تطهى فى الماء المغلى ، وبعد ذلك تتولى المرأة تغليكه بالعصا العريضة المقدمة وتسمى « المغرف » .
أما العيش فانه لا يحتاج الى أكثر من ذر الدقيق فى الماء المغلى ثم يخلط .

فتخرج هذه الكلمات بصوت خافت منغم وتحس وانت تنصت اليه بأنه نغم الأنين الصادر من الاعماق :

فـى الصبـح نـرحـى[1]

وفـى العشيـة نـرحـى

جهـدى انقـطـع

يا ناس قلـت فرحى

شعـيرك مكدس والفليج امسدى

وحيلى برد ما بينـكن يا ودى

***

شعـيرك مكدس والحطـب فى الوادى

وسيدك على حلـب الغنـم ينادى

وكثيرا ما تحن المرأة الى رؤية أخوتها أو أبيها وتتمنى لو أخبرتهم عما يجيش فى صدرها من شوق اليهم ، فما هى

---

(1) نرحى : نطحن الشعير .



وسيلتها فى التعبير وطريقتهـا فى مناجاتهـا لهـم اذا فرق بينهم بعد المسافة ، فعندمـا يسـدل الليل ستـاره ويعـم الـكون السـكون ، تسمعهـا وهـى تصيغ خواطرهـا فى كلمات تفيض بالحنان والود أبلغ مما لو كانـت أديبـة قد انكبت على مكتبها تسود رسالة لذويها ، وما حيلة الأولى اذا كانت ظروفها الاجتماعية المحيطة بها قد حرمتهـا من التعليم(1) الا أنها لا زالت أقوى عاطفة وأرق قلبا وأرهف احساسا وأنقى وجدانا وأطهر سيرة ، ولو توفـر لهـا هذا التعليم الذى حظيت به أختهـا فى المدن لانتظرنـا منهـا الكثير من الخدمات والتضحيات من أجل الآخرين من أبناء وطنها الحبيب ، ذلك لأن ما اكتسبتـه من صفـات حميدة من مجتمعها الريفى بجانب تحصيلها العلمى لكان كفيلا بأن يخلق منها الانسانة العربية الحقة التى تسخر ما اكتسبته من العلم للعمل لخدمة الوطن .

---

(1) لقد وعت الجماهير فى ليبيا ضرورة تعليم الفتاة ، وقد أخذت وزارة التعليم بالمبادرة الى محو الأمية لكل المجتمع .

وهذه كلمات الاغانى الشعبية التى تصحب عملية قيام المرأة فى الريف بالرحى :

يا ريتنى طوير وانطير
لين نوصلك يا وبيى
ربى يمسيك بالخير
يا جناح غطى أوخيى

* * *

بالله يا طير طاير
قبل وسفى جناحك
ومن بوى[1] هات البشاير
ونفرح ليا جيت ضاحك[2]

* * *

(1) بوى : والدى .
(2) ضاحك : مستبشر . فرح .

يا طـير يا ناقـل الخبر
لـو خى واحش خواته
عرب بيتنـا خيلهـم حمر
ووخـى حمـره عباته(1)

الأدب الشعبى دائما نجده يحتفظ لنا بكل ملامح حياة المجتمع التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصـادية ، فالكلمات السابقة فسرت لنا عن لون اللباس الذى كان يرتديه أخ المنشدة ولون جيادهم :

أنـا أنصـبلك باللوح(2) وانتـى عدى
سيدك مسرح والـرعية تدى

هذه الكمات لا شك بأنه يرجع تاريخهـا الى العهـد العثمانى ، وهى الفترة التى فرض فيهـا على الشعـب ما يسمى (بالميرى)(3) ، وهذه الاغنية تقول كلماتها :

---

(1) عباته : الرداء الذى يرتديه .
(2) اللوح : الحفنة .
(3) الميرى : نوع من الضرائب كانت تفرض على الشعب .

لابس عباه حمره وقبل قبله
بالله يا سيدى الفقيه تكتبله
يا بو عباه حمرة اطناش الززة
حبك نزل فى القلب وايش يحزه

وهى أيضا قد دلتنا على نوع العباءة التى كان يرتديها الرجل والتى بلغت كمية الاصواف المنسوجة منها ما يكفى لأربعة رجال فى وقتنا الحاضر ، وكانت محط اعجاب حبيبته .

وكثيرا ما ذكر لنا الأدب الشعبى فى كلمات الوصف والغزل التى يتغنى بها الرجال نوعية ثياب وحلى النساء :

البارح عقاب الليل ريت الجنة
خلخال بو رطلين تحت الحنة(1)

❊ ❊ ❊

---

(1) من تدوينات السيدة خديجة الجهمى فى الأدب الشعبى .

بو عقـــد بو خلخـــال بو كردية
عيون الغـــدارى لابســـة البوشية

***

بكل ما بت تطفـــى ناره
اللى لابس فى اليد سواره
زين حدايدهـــا ورا مسّلانى
نخســـاب راجلهـــا مسلـــح جانى

وهذه أيضا كلمات تبين ما يرتديه الرجال فى المدينة لا فى الريف :

صبعـــه رقيق وخاتمـــه فيروزى
لبـــاس كاط الملقب ريتـــه زوجى

***

هو أسمـــرى والمعرقة[1] واتاته
حجـــب على زولـــه العـــين خذاته

***

(1) المعرقة ـ طاقية مصنوعة من القماش الأبيض .

هما الثلاثـــة فوق حيط الجامع
فيهـــم غزالى بلغتــه تتلامع
هما الثلاثـــة فوق حيط الكوشه
فيهـــم مرادى بلغتــه منقوشة

* * *

بو بصـــكل نازل يدلى
عقلى سلـه شاغـل بالى ووقتـى كله

* * *

الكنـــدره اللى ترفعـــه وتجيبه
مسمارهـــا يستاهـــل التذهيبة

والاغانى التى تصحب « الرحى » فى الرغاطة والتـى سبق ذكرها فى كلمات الوصف الأخيرة تختلف عن غيرها من الأغانـى ، فهـى تكتسى بثـوب المناســة ، مناسبـة الفرح ، فنجدها مفرحـة تدور كلماتهـا حول الاعتـزاز

بالنفس والنسب والتفاخر بالقـدرة على الصبـر وتحمـل المداومة فى العمل الخلاق .

ومن بين هذه الكلمات :

هيا رحـــا صونـــك وسلـــم سيدك

وكانـك على رمـى الشعـــير انزيدك

***

هيا رحـــا تستـــاهلى رمايا

وتستـــاهلى خادم وزوز صبايا

***

تستـاهليـــه مسمـــــــــــــس

خاطــم عليه النـــو(*) مشى محمس

***

تستـــاهلى خوصـــة حديد وعاله

سيدك حرث مولاى زاد فى ماله

***

(*) النو : الحر .

هيا رحـا ديرى الـدقيق بسيسه
سيدك وقفَ يبـى فطـور تريسبه

نرحـى شعـيره وكان يبـدا ويبه
على عيون مبـاش الرياف[1] يجيبه

و « الرغاطة » فى بيت صاحب الفرح تسبق العـرس بعدة أيام وتستمر أحيانا لحين وصـول (الكسوة)[2] من احدى مدن البلاد .

وهـذا شاعـر من أبنـاء البـادية نراه فى هذه القصيدة يندب حظ المدينة والعرائس فى الريف ، عندما تعرضت مدينة طرابلس للغزو الايطالى وحوصرت من قبل جنود الاستعمار الفاشي فتعذر على أهلها الوصول اليها ، يقول هذا الشاعر[3] :

(1) الرياف : الشوق .
(2) الكسوة : الملابس والحلى وما يحتاجونه للعرس .
(3) عبد القادر المحروق : بلدة الجوش ـ عمره 80 سنة ـ المهنة فلاح .

نبكى ودمع العين سخيه
فوق خدودى بداذات

نبكى على مدينة جهليه
على جالت بحر الموجات

عنك سدوا كل ثنية
وحازونا بعد وجوبات

منين كانوا ناسك مدنية
ما يطيقوا حر النوات

جملة من فيهم غيرية
يبكوا بدمع الغبرات

يا وكاده فصل الغيه
ليا شح المير[1] ولوقات

رداده سرية فى سرية
ومخازنها مليانات

(4) ليا شح المير : تعسر العثور على القوت .

منـــك قـــوت الزواليـــه

كنتـــى للجيعـــان مقات

كانـــت خزنتهـــا مملية

اليوم سلاحــك راح شتات

كان قهاويهـــا مبنية

وأمـــاكينهــــم تصويـــرات

فيك انتكبـــت كل صبيه

منــك ماجوهـــا السكوات

لا صنــه من العطاريه

ولا بقماج ولا ارداوات

حتـــى افاتحهـــم مقريه

ردوهــــــم بالتسليمـــــات

عنـــك تحـــزن كل وليه

جملـــة من فيهـــم غيرات

تستـــاهلى على الصـــور وزيه

نســـون يبـــدن ندابات

اليوم فيهـــا ولـــد الروميه
فـــوق الـــكرسى واسرايات
قلقهـــا الأمـــه جمليـة
بالمدفـــع والرشاشات
كملهـــا ناس المنشية
والساحـــل غـــير قلالات
طلبـــى فى غفـــار السيه
المولى برام الساعات
ترزقنـــا بنصره وقويه
مـــن برقـــة لفـــران وغات
الأمـــة جابتهـــا غيريه
هافـــت من كل قبيلات
المسلـــم يبـــدا حبـــره(1) ميا
انصرنـــى على عصـــاى الدين

---

(1) حبره : يساوى .

وودى موزر[1] سلطانيه
مجاهــد فى الكافــر يومين
بلادى ترجــع زى مــاهيــه
اعــراس وفرحــة وزهــو الغين

وعند مجىء الكسوة تنحر الذبائح لأن العـادة ا المتبعة تحتم ذلك ، ويطعمون القادمين اليهم ، وفى اليوم الثانى يجهـزون جميع ما اشتروه من ملبوسـات للعـروس و (الغلاقة) التى تحوى أدوات التجميل الشعبى والعطور وما يحتاجه أهل العروس من حاجيات لها علاقة بعاداتهم ومعتقداتهـم مثـل « الصبـر » و « المر » و « الجـاوى » و « اللبان » و « الفاسوخ » وكل ما تحتمه عاداتهم من أشياء ملزمة أسرة العريس باحضارها مع الكسوة مثل « الزيت والطعام وشـاة للذبيحـة » ويضعـون كل ذلك على جمل وتصحبه من قريبات وأقرباء وعشيرة العريس ويتجهون

---

(1) موزر : اسم لنوع من الأسلحة .

به الى بيت العروس ، وخلال فترة سيرهم فى الطريق ينشدون بعض الاغانى والتى ورد ذكرها من قبل ونحن بصدد تداخل الأدب الشعبى فى المعتقد ، والمعتقد فى الأدب الشعبى .

ونعود للتساؤل حول (العافية) التى جاء ذكرها فى أغانى استقبال العروس .

فالتساؤل أن العافية فى لهجتنا الدارجة (هى النار) ونجدها مرتبطة بأغانى السامر ، ان المعتقد المتداخل فى مواضيع العادات والتقاليد والذى يؤدى فى قالب الأدب الشعبى أحيانا مثلما ذكرنا قد نحا بنا هذه المرة ناحية النار ، فلماذا تقول كلمات الأغنية « مرحبا يا لافيا . . يجعل قدومك عافية » أى نار ؟ حيث أن العافية فى لهجتنا الدارجة المتداولة بين منشدى هذه الاغانى هى النار حتى يقال للجار الذى يراد أخذ (ولعة) منه (عندك عافية) .

وهنـاك معتقـد يؤدى بواسطـة النـار ، ففـى واحـة الجديدة[1] بمصر يسعفون الشخص الـذى يمـرض نتيجـة فزع مفاجـىء بأن تأخـذ اسرتـه (مسرجـة) بهـا زيت ويشعلـون فيهـا النـار ويضعونهـا على حافـة الطـريق بالليل ، والذى ينظرها يفزع منها ويكون قد انتقلت اليه الاصابة ويشفى الشـخص المصـاب حسـب تصورهـم واعتقادهم ، بالاضافة الى وجود هذا المعتقد فى مناسبـة ثانية مما يعطى لتساؤلنا هذا أهمية الانتباه اليه على أقـل تقدير ، ففى ليلة السامر التى تسبق الزفاف فى باديتنا توقد النار أمام بيت العـروس ويلتف حولهـا النسوة ويرددن أغانى تقول كلماتها :

يا نار دليه دليه
احنـا ما وقدنـاك باطل
سزى من شرق خاطـرى به
جـاء فى طريق المجاطل

(1) من تسجيلات مركز الفنون الشعبية بالقاهرة .

وأما اذا اعتمدنا على تحليل هذه الظاهرة من خلال هذه الجمل القصيرة من الأغانى ربما نقول أن فكرتها قد استعانت الحبيبة بالنار بأن تدل حبيبها التائه فى الصحراء بالرجوع اليها ، وربما وجدت النار للانارة أو التدفئة ، لكن فى فصل الصيف المحرق والقمر المضىء والرؤية بواسطته صافية واضحة ، فماذا تكون وظيفة النار ؟ . .

الا أننا لا نأخذ بهذا القول لارتباط النار بالمناسبة الثانية التى أشرنا اليها فى كلمات ترحابهم وتفاؤلهم بقدوم العروس (مرحبا يا لافيا . . يجعل دخولك عافية) .

ونجد فى التصور الشعبى لما للنار من قيمة فى شفاء المريض بالكى حتى أنهم يقولون ، نادى المنادى فى السماء وقال « النار يا موسى دواء » .

وفى قبائل البشارية[1] بمصر يقسم لك الشخص مؤكدا

---

(1) البشارية ـ قبائل عرب رحل يعيشون على تجارة الابل وتربية الأغنام ـ يقطنون بأرياف جمهورية مصر العربية .

صدق وعده بقوله « وحياة العافية » ، وإذا ما أثبتنا بصحة هذا الاعقاد فى النار بقى أن نعرف أو نتساءل . . فى أى زمن ومن أى سبب علق هذا الاعتقاد ووجد مكانه بين هذه الجماعات وأصبح مزيجا فى أدبهم الشعبى يؤدى بالشعر المغنى المنغم .

وهكذا نجد الأدب الشعبى فى المعتقد ، والمعتقد فى الأدب الشعبى كما يلوح لنا المعتقد أيضا فى الممارسة اليومية للشعب فى الاحتفال ببعض المناسبات ، وعند سماع الرعد ، ورصد التنبؤات الجوية عن طريق مشاهدة الشمس والقمر ، وفى فترة تيسنين الطفل ، وفى المأكل والملبس والمسكن .

أولا :

الممارسة ـ عند الانتهاء من الدراس وتصفية الحبوب يضعونها كوما بشكل هرمى تسمى « العرمة » أو « الغيزة » ويرسم عليها نجمة سداسية ، ولا يباشرون

عملية حصرها بالمكيال الا قبل طلوع الصبح بقليل أو بعد منتصف الليل أو القيلولة ان كانوا على عجل من أمرهم ، وتتم هذه العملية بأن يمسك اثنان من الحاضرين (بالغرارة) ويباشر الثالث الجرد ويشترط فيهم الطهارة والسكوت الى نهاية الجرد لاعتقادهم بأن الكلام لا تحتمله رسل البركة ، والاعتقاد الثانى أن النجمة السداسية أو خاتم سيدنا سليمان كما يقولون يرونها خاتما سحريا يجلب البركة لمحصول الزراع وتستجيب له ملائكة اكثار الحبوب والوقت المناسب لقدوم هذه الأرواح التى تبارك المحصول فى اعتقادهم هو مطلح الصبح أو القيلولة ، حيث أن الناس نيام أو هم داخل بيوتهم فى كلتا الحالتين ، ولعل هذا الاعتقاد مترسب فى عقول حامليه عن طريقة السحر التى كان يتم تنفيذها حسب توصية السحرة فى مثل هذه الأوقات لكى لا تنكشف أمورهم فى ايهام المترددين عليهم .

وقد ورد ذكر معتقد الليبيين القدماء فى السحر والنذر

فى كتاب « نصوص ليبية »[1] فظاهرة السحر قد انكمشت والنذر لا زال يجد بين الجماعات من يبرر وجوده .

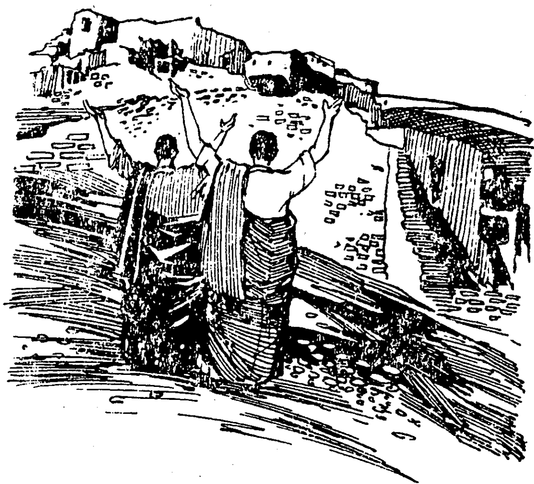
ثانيا :

الاحتفال ببعض المناسبات مثل الاستغاثة لهطول المطر ، فكلما طال بهم الجفاف اتفق بعض الجماعات على زيارة (سيدى المسيد) وقد عاصرت وشاهدت بعض هذه الزيارات ، ولا أدرى الآن هل هذه العادة لا زالت قائمة ، أم أنها قد انقرضت ، وهذه الجماعات تصعد الى جبل أشم[2] يبلغ شيئا مهولا من الارتفاع ويوجد على قمته مبنى قديم متهالك بالرغم من أنه شيد من حجر الصوان الموجود بنفس هذا الجبل ، ويسمون هذا المبنى (سيدى المسيد) أو (عفسة ناقة النبى) التى كانت خطواتها الثانية أو بالأحرى موطىء

---

(1) من كتاب « نصوص ليبية » للاستاذ على فهمى خشيم ـ ص34 ـ35 .

(2) هذا الجبل الذى ورد ذكره يقع بين ترهونة الغربية والعربان ـ محافظة غريان .



قدمها على جبل اخر يقع بين منطقة ترهونه الشرقية (القصيعة) ومسلاته ، ويسمى بنفس هذا الاسم وكأن الطبيعة نقلته بصورته طبق الأصل من الجبل ، والمبنى سالف الذكر حتى الشجيرات التى تشبه شجرة الزيتون بما تغطيه من مساحة وارتفاع وتسمى (البطومة) قد نجدها أمام ردهة هذين المبنيين فى المكانين المذكورين ، الجبل الأول يكسوه نبات الحلفاء ، والكليل ، وبعض الشجيرات ، الجدارى ، والحلاب ، وأشجار يستحضر منها الطب الشعبى ، ولكن عن طريق المزاول لهذه المهنة ، حيث تشتل هذه الشجرة بشفرة السكين وبحذر شديد ويؤخذ من سائلها الأبيض كالحليب قطرة واحدة ، فان زادت الكمية أدت الى وفاة المريض .

ولا يهمنى هنا لا الطب الشعبى[1] وقدمه وحداثته ،

---

(1) طريقة التطبيب الشعبى - ظاهرة قديمة ورد ذكرها فى كتاب « نصوص ليبية » للدكتور على فهمى خشيم بصفحتى 34-35

ولا الجبلين من حيث الشبه فى تكوينهما الطبيعى ، وانما يهمنى ارتباط المعتقد بمناسبة الزيارة لهذا المكان ، للاستغاثة من أجل هطول الأمطار ، وليس الغريب أن يعتقد الناس فى الأولياء ، بل تساؤلنا هو : لماذا هذا الجبل بالذات ؟ . . مع كثرة أضرحة الأولياء بهذه المنطقة ، هل لاعتقادهم بأنه مكان لموطىء قدم ناقة النبى كما يقولون ؟ . . وربما أيضا لوجود هذا المبنى على قمة الجبل المرتفع حتى يكونوا قريبين من الأجواء التى يمر بها السحاب ، وبحيث يستجاب لهم سيدنا الخضر المرتبط بتصوراتهم بأنه هو المسخر للسحاب يذهب بأمره ويمطر برغبته ، وليس هذا تشكيك فى حسن سلوك هذه الجماعات الدينى ، وانما كل منا أحيانا يحمل المعتقد وينفذه لا شعوريا .

فمثلا عند دخول البيت يستحب الدخول مبتدئا بقدمه اليمنى ، وكذا البسملة عند تخطية عتبة البيت ، كما يتشاءم الرجل اذا نادى عليه أحد بعد مغادرته البيت

فى سفر أو لعمل ما ولو كان هذا النداء من أجل شىء قد نسيه .

ثالثا :

المعتقد الثالث ـ نجده عند سماع الرعد العصيف ، اذ يقوم فرد أو فردان من العائلة بنقرة مفهومة عندهم حتى لا يقذفهم هذا الرعد ببعض الصواعق ، وهـذه النقـرة لا نسمعها الا عند محاولتهم لمسـك أو نداء (النعجـة) أو (العنزة) أو (البقرة) بقصد ربطها أو حلبها وكأنهم بهذه النقـرة يحاولـون تهدئتهـا ، فلماذا تقـال عنـد سماع الرعد ؟ . . هل يحاولون تهدئتـه ؟ . . ولـكن ما مدى ارتباط الرعد بالحيوان ؟ . . هذا تساؤل يتطلب من يجيب عليه . . أو لعلها رواسب متبقية منـذ أن كان الانسـان موغلا فى القدم يعيش مع الغابة والمطر والحيوان ولا يملك من لغة التخاطب الا هذه النقرة وأمثالهـا ، ولعـل هذا يحدده علماء الانسان والتاريخ .

رابعا :

فى التنبوءات الجوية عند مشاهدتهم لخيوط الشـمس

المتسللة بين السحاب وتسمى (قوس قزح) يحطون الرحال ان كانوا مسافرين ويحتاطون بما يحتاجون اليه ان كانوا مقيمين لاعتقادهم أن المطر أقرب من قاب قوسين أو أدنى ، وربما يستمر لمدة طويلة ، ويصيغون اعتقادهم هذا فى كلمات :

لا قوست فى الضحى
ذور لها سدرة تقا

ويقصدون ايواء الابل فى المكان الدافىء (ولا قوست فى العشية .. وتى الجمل والحوية) أى لا مطر منتظر ، فمن أراد السفر فليسافر .

وهذا الاعتقاد عن طريق الشمس نراه فى موضع ثان عند تسنين الطفل بعد خلعه لسن الحليب يحتفظ بها الى بزوغ الشمس ويقذف بها ناحيتها وهو يقول :

يا شمس يا شموسة .. خذى
سن الغزال واعطينى سن الحمار

وبعض الرواة يقولون : انها تقال فى صيغة أخرى :

يا شمس يا شموسـة . . خذى
سـن الحمار واعطينـى سن الغزال

وهم يعتمدون فى الروايـة الأولى عن أن سن الحمـار قوى ويعمر طويلا حتى أنهم يقولون :

عمر الداب . . ثلاث كلاب .

وعمر الكلب . . ثلاث أزراب .

وعمر الزرب . . ثلاث سنين .

وهذا التقليد متبع فى مصر أيضـا مع الاختـلاف فى بعض الالفاظ :

يا شمس يا شموسـة . . خذى
سـن الحمار وهاتـى سن العروسة

وتقال فى رواية أخرى :

يا شمس يا شموســة .. خذى
ســن الحمار وهاتــى سن الجاموسة

البرّاش

الاعتقاد المصاغ فى الأدب الشعبى والذى يقال عند خسوف القمر وكأنهم يستعطفون ظواهر الطبيعة أن تعيد ضياء القمر والذى كانت فتيات الحى يلعبن على ضوئه ويرددن أهازيجهن والتى تسمى (البراش) ، وهو لون قديم وينشدنه فى الحالات العادية .

وعند خسوف القمر ، ينشد ليؤدى غرض المعتقد ، فحتى لو لم تكن هناك فتيات فيغنن نساء كبار مع ضرب الابل لكى ترغى (أى تصيح) وكذلك يخبطون الرحى ويدقون « مهاريس »(1) النحاس .

---

(1) مهاريس : جمع مهراس . وهو هاون من نحاس .

وهذا اللون من الأدب الشعبى والمرتبط بهذا المعتقد هناك شبيها له بجمهورية مصر العربية ، يقولون :

يالا يا بنات الحور
سيبو القمر ينور
يالا يا بنات الجنه
سيبو القمر يتهنه

وتقال فى رواية أخرى :

يالا يا بنات الحور
سيبو القمر يدور

وهذا تدوين للاغانى التى ذكرناها والتى تقال فى ليبيا :

البراش عند خسوف القمر

برشت بين الدواوير
حيرت من كان نايم.

هى نلعبوا يا بناويت

والفرح ما زال دايم

* * *

هى نلعبوا يا بناويت

ورا بيت بايع بناته

والخير ماله مطاريح

والشر غامد امباته

* * *

البراش ما فيه سيه

بنات النبي ذاكرينه

علاش المناقد(1) عليه

ما قلت كلمة خشينه

* * *

(1) المناقد : اللوم .

يا الأم راك توقــدى نار
يا الأم كونــى حنينة
كفنــى على شارب البيت
قبــرى مشــو جاهرينه

و (البراش) الذى يرددنـه الفتيات على ضوء القمـر كنوع من السمر ، الا ان هذا اللون قد اختفى ولا نجد الا القليل من النساء الطاعنات فى السن يسردنه علينا :

هيا يا كذابــة ماك قلتــى نلعبو
ورأس وخيك غير تجى بالك غدوه نرحلو

* * *

برشـــت قالــوا تبرش
سكتــت قالــوا هميله
خسر عنــى من يخرف
فى ناس مالــه قبيله

* * *

قالــوا رحــل فى البطِة
هللى رحــل ماشطه
شال الــرحيل وحطه
فى مربــاع بنــت كحيل

***

قالــوا نزل فى الوادِى
فى جلهتـه من غادى
هــذا سـلام سيـــــادى
قلــوه يـــا فـرســــــــــان

***

قالــوا نــزل مقبـــــــــل
ام الغثيــــث مسبــــــــــل
لاعب عليه السيل

***

قولــوا لركابــة الخيل

هــوين نجــم بوذيل جاكم

كــان غــربــن

يــرخــص الميــر

وكــان شــرقــن

يــا شقــاكــم

مما سبـق نلاحـظ أن الأدب الشعبـى قد أدى غرض المعتقد ، وهذا يظهر فى الكلمات التى سبق ذكرها والتى تقال عند خسوف القمر والمسماة (بالبراش) .

كما أننا وجدنا فى بعض كلمات البراش معتقد آخر فى النجوم كقولهم :

قولــوا لركابــة الخيل

هــوين نجــم بوذيل جاكم

كــان غــربــن

يــرخــص الميــر

وكـــــان شــــرقــــــــن
يــــا شقـــاكــــــــــــم

أى ما معناه أن هناك نوعا من النجوم عند مشاهدتهم له يتفاءلون به أو يتشاءمون ، فهو يدلهم على موسم الاخصاب أو الجفاف حسب رصدهم لاتجاهاته .

ولبعض النجوم أيضا دورها فى ارشاد البدوى المسافر ليلا فى حلكة الظلام المدلهم ، توجهه وجهته الى المكان الذى يريده .

وقد ورد ذكر النجوم التى يتخذها المسافر بوصلة تدله على معالم الطريق فى كتاب « عشر سنوات فى بلاط طرابلس » .

فنسيج الفولكلور اذن تمسكه قاعدة واحدة ، يخرج منها متماسكا متداخلا مهما سخرته دقة صنعه ، وابتعدت به أو غيرت ألوان خيوطه بعض الأصباغ ، فهو متمم لهذا النسيج ، ولو حذفنا بعضا من هذه الخيوط لوضح

مكانها ، ينبىء بما تركته من فراغ .

فنحن نجد كما قلنا ، الأدب الشعبى ، والمعتقد ، والعادات ، والتقاليد ، والحكايات الشعبية ، والطب الشعبى ، والممارسة ، والسحر ، كل منها مرتبط بالاخر فى أكثر من موضوع ، وهذا ما أشار اليه الكثير من الباحثين المتخصصين فى هذا المجال .

وأمامنا الآن لون من ألوان المعرفة الشعبية وهو : « الحكايات الشعبية » .

الحكايات الشعبية

متى تفقد الحكايات الشعبية وظيفتها ، وان لم تفقدها ، فما هى هذه الوظيفة التى تؤديها ؟ . . وهل ما زال الناس يحتفظون ببعض هذه الحكايات فى خزينة الوجدان الشعبى ؟ . . وهل ما زال للرواة منصتين يلتفون حولهم ؟ . . فما هى انفعالاتهم واهتماماتهم بما يرويه هؤلاء الحفاظ ؟ . . وما هى الحكايات الشعبية التى نشم منها رائحة البيئة ونلاحظ فيها سلوك وتفكير الانسان العربى فى ليبيا خلال العصور التى طواها الزمن بين صفحات الماضى السحيق؟ . .وما هى قدرة المبدع فى تركيبه لهذه الحكايات التى لا زالت قادرة على تأدية وظيفتها ؟ . . هل كان فى مستوى التفكير الفلسفى الذى

يسبق الزمن ؟ . . أم أن البساطة هى التى لا زالت قائمة لم تختلط بعالم التعقيد ، ولم يؤثر على سماتها تكتيك العلم الحديث كما قال الاستاذ عبد الله القويرى فى تقديمه لديوان ملحمة (جهاد الشعب)(1) ، ثم هل هناك ملامح مرحة فى ثقافتنا الشعبية مثلما عرف شعبنا العربى فى مصر فى نسجه للنكتة التى منها ما يضحك ويبكى فى آن واحد ؟ . .

هذه مجموعة من الحكايات الشعبية دونتها من أفواه الرواة فى بعض المناطق من الجمهورية العربية الليبية ، لنرى ما هى هذه الحكايات . . هل هى حزينة حزن الطيور فى غرود الرمال فى أقاصى الصحراء ؟ . .

أم فرحة فرحة الأطفال تحت ظلال النخيل والمياه الرقراقة فى واحات فزان الخضراء ؟ . .

هل هى غامضة كغموض القصور التى كانت تسير

---

(1) انظر مقدمة كتاب « جهاد الشعب » للمؤلف ـ طبع سنة 1968 .

حياة الشعب فى عهود السلاطين وما قبلهم . . هل كان الراوى والناسج الأول لهذه الحكايات أشخاصا اتكاليين ينتظرون ما تبعث به لهم الأقدار من رزق ، ويكتفون بالقليل من الزاد والملبس . . هل كانوا مثالا رائعا للصمود والعمل والتغلب على قسوة الطبيعة . . ليتنى استطيع الاجابة عن كل هذه التساؤلات .

ولا اظن بأننى مقصر لو استطعت أو مكنتنى ثقافتى من ذلك ، أو توفر لدى من المراجع ما يساعدنى ولو على الاجابة عن جزء من هذه النقاط ، ولكن يكفينى اننى قد قدمت لكم هذه الحكايات بثوبها دون ما تحريف أو اضافة لها ، لنقرأها ولنتناقش معا حول الاجابات المطلوبة ، علنا نصل اليها صحيحة ، والأمل معقود على حملة الاقلام فى بلادى ، ولا أظن أنهم يبخلون أو يتكبرون على بحث ودراسة وتدوين بعض هذه الحكايات الشعبية وقد شبوا وقوى عودهم بين قائليها ومتقبليها وكل منهم له معها ذكريات عزيزة على قلبه ،

قريبة من نفسه . . وقد كانـت جدتـه أو أمـه أو خالتـه جالسة بردائها الليبى وملامحها وسمات وجهها الطيبة وهى تحكى لهم مبتدئة بكلمتهـا المألوفـة : « ايه يا وليدى . . كان ياما كان فى قديم الزمان يحكو على سلطان وما سلطان غير الله واللى عليه ذنب يقول استغفر الله .

حكايـة شي بن شي[1]

شي بن شي لاقى الصيادة قال لهـم . . انشـاء الله ما تحصلوا شيء . . عطوه طريحة ، قال لهم أمالا يا سيادى شنو نقول ، قالوا له ستة وسبعة فى النهار شوى . . مشى منهم ، فات على وحدين ناقلين ميت قال لهم . . انشاء الله ستة وسبعة فى النهار شوى . . عطوه طريحـة ، قال لهم يا سيادى امالا شنو نقول ، قالوا له عظم الله أجـر الميت اللى عندكم . . لأقى وحدين دايرين عرس وناقلين عروس فى كرمود قال لهم . . الله يعظم أجـر الميت اللى عندكم . . عطوه طريحة ، قال لهم يا سيادى امالى شنو

---

(1) الراوى السايح السنوسى من سكان بلدة الزيغن محافظة سبها .

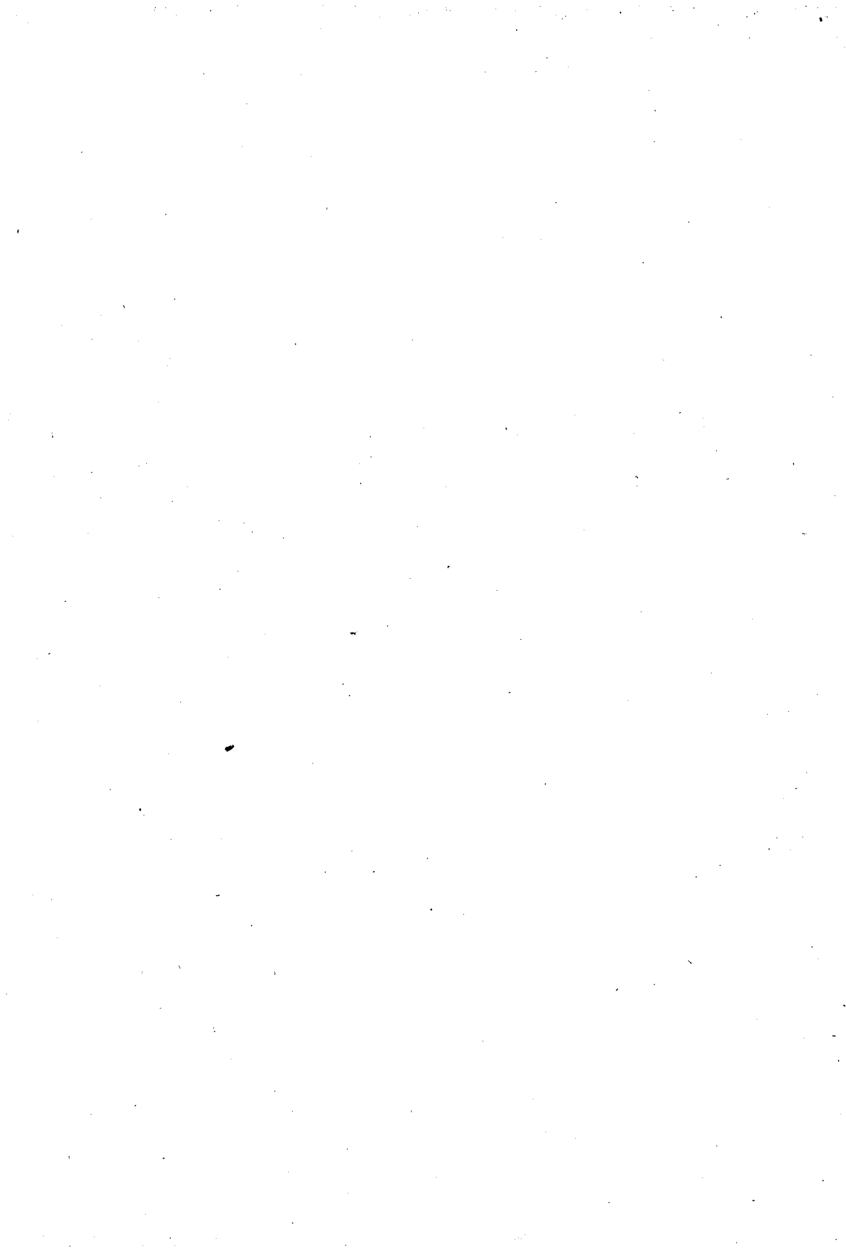
نقول ، قالوا له قول مبروكة سعيد على اماليها . . فات على وحدين عندهم كلبة واكله جوف ولدهم قال لهم . . مبروكة سعيدة على اماليها . . عطوه طريحة ، قال لهم - يا سيادى قولو لى شنوا نقول ، قالوا له قول تنبح وتلالى فى الديار الخوالى . . القى واحد شاري بقرة وفرحان بيها وخاش بيها على عويلته ويصبو لها فى الحليب على وجهها . . قاله انشاء الله تنبح وتلالى فى الديار الخوالى . . عطاه طريحة ، قاله يا سيدى امال شنو نقول ، قاله قول زيادة لبادة على شواربه وشوارب أولاده . . خطم على وحدين يطلعوا فى بيت راحة . قالهم زيادة لبادة على شواربه وشوارب أولاده . . عطوه طريحة ، قالهم يا سيادى امالى شنوا نقول ، قالوا له قول ييبس ويشيح وتقله الريح . . القى وحدين فرحانين يغرسوا فى جنان كيف بادين فيه . . قالهم انشاء الله ييبس ويشيح وتقله الريح . . عطوه طريحة ، قالهم امالا شنو نقول ، قالولة قول يكبر ويقصل ويبدى كيف

العنصل . . خطم على ولد السلطان ضار باته شوكة . . قاله تكبر وتقصل وتبدى كيف العنصل . . عطوه طريحة وجوه بيقتلوه ، جى للحراث اللى يحرث . . قاله راهم جوك يا حراث . . الحراث هرب وهو شد الجمل وقعد يحرث ، وهما مشوا فى جرة الحراث قتلوه ، وهو سلم الجمل لولد القاضى وقال له بره لبوك قول له حراثنا قتلوه خدم ولد السلطان . . جى القاضى . . قالت له مرته ، انت كيف حراثك يقتلوه وتقول أنا والسلطان سوا سوا . . والله لا كان ما قتلتش اللى قتل حراثك ما عاد قاعد تلك . . دار سيدنا القاضى لبس عمامته وركب حمارته وجى طوالى لخدم ولد السلطان . . قال وين اللى قتل حراثنا . . قالوا له ها هو ناض قتله . . السلطان قالتله السلطانة انت سلطان واش بعد القاضى حاكم فيك . . مشى السلطان قتل القاضى وركبت فى بعضها وجيت منهم وخليتهم وبوذنى سمعتهم وبعينى ماريتهم :

هابا هابا زرعنا وزرعكم يجى صابا . . .

مبدع هذه الحكاية الشعبية من وجهة نظرى ، كان استاذا بارعا عرف كيف يوصل دروسه الى سامعيه حين لم تكن هناك دروس ولا فصول ، فهو قد خاطب تلاميذه بالطريقة التى تتقبلها عقولهم وترتاح اليها نفوسهم المرهقة من العمل المتواصل وصراعهم مع طبيعة الصحراء القاسية ، لم يكن موقفه معهم بموقف الواعظ الشديد النبرات الغليظ الأسلوب ، بل وصل لهم درسه فى أسلوبه المرح الضاحك ، أدمج فصلين فى فصل واحد ، اعطاهم حصتين من دروسه ، الأول وقد عرفنا منه وهو يلقنهم كيف يشارك الانسان الآخرين المشاركة الوجدانية بالاساليب المقبولة فى أفراحهم واتراحهم ، ما هى العبارات والجمل التى اقرها المجتمع وتعارفت عليها الجماعة ، كيف تبارك للانسان فرحته وهو فى غمرة السرور ، وكيف تواسى المصاب فى عزيز لديه ، كيف تحمد للميسور نعمة اجاد الله بها عليه ، كيف تشجع

بداية العمل الخير ، ثم كيف تتجنب الوقـوع فى الخطـا بتريثك وعدم انسياقك وراء كلمات الاشاعة الفارغة التى قد تصدر من امرأة أو طفل صغير أو انسان عديم الصدق والاتزان . وبقى أن نعرف من هو مبدع هذه الحكاية ، وفى أى عصر عاش هذا المدرس أو المبدع الـذى نحـن بصدد الحديث عنه ، والى أى مدى وصل انتشار درسـه هذا ، وأين موطنه الأصلى ؟ ولا نملك من الجواب شيئا الا على هذا السؤال الأخير ، فالأسلـوب الـذى قدم به الراوى هذه الحكاية الشعبية أسلوب عربى ، وليس فيه غرابـة التخيلات الغـربية ولا لكنـة القـادم من بعيد ، الحـراث والمحـراث والجمـل والكرمـود وبقية عنـاصر الحكاية ، ينطبق عليهم المثل الشعبى القائل (كل ذئب على لون وطاته) أى انها احدى الحكايات التى ترويهـا امهاتنا وجداتنا ، والمطبوعة بطابع البيئة العربية الليبية .



حكايــة مرزوق[1]

الراوى :

يا حزاركم يا مزاركم ، المنصتين حجرك ومجرك وجرة ذهب تتجرك ، كان فيه راجل وهـو صغـير السـن خدم وحرث وباع وشرى ، النافع الله ما حصل شيء ، فى يوم من الأيام سار مع الطـريق لقـى كلـب صغـير (جــرو كلاب) جاب هضاك الكلب رباه كثر عليه الخير وبنى حياش وولى تاجر كبير مدة طايلـة ، ومـات الكلـب ، وذبح عليه عشرة نعاج وزوز من البـل ودفنـه فى مقبـرة

---

(1) الراوى أبو بكر السايح من بلدة الزيغن ـ محافظة سبها عمره اربعين سنة ومهنته فلاح .

المسلمين وبنى عليه قبة ، سمع القاضى جاء وجاب معاه عساكره وقاله . . شن حملك على مخالفة الله والرسول تدفن كلب فى المقبرة وتذبح عليه عشرة نعاج وزوز من البل وادير له قبة ، قاله انا راجل كنت فقير وربيت هذا الكلب واستغنيت على قدومه ، والكلب وين مات . خلفلى وصية ، قاله وشنهية الوصية ، قاله ، قال ادفنونى فى مقبرة المسلمين واذبحوا عليه عشرة نعاج وزوز من البل وابنو لى قبة وان جى القاضى ادفعوا له ألف جنيه على وجه التقريب ، قال القاضى . . هيا الفاتحة على روح مرزوق باين عليه كان كلب باهى ويستاهل كل ما عملتو هوله .

هل هذه الحكاية الشعبية قد تسللت لمجتمعنا العربى من مجموعة أدب المشككين فى هيبة الاسلام ووقاره والمحاولين السخرية منه وممن يحكمون باسم قرآنه وسنته ؟ وقد قرأنا وسمعنا ما يزيح الغرابة على هذا التساؤل فيما كان ينهجه المبشرون قديما لمختلف الديانات

فى شتى بقاع الأرض ، أم أن الحكايات كانـت من نوع الأدب الساخر الذى ينفس المجتمع بواسطته عما يراه من واقع لا يتفق ومبادىء الحق والفضيلة ، خاصة وان شعبنا قد ابتلى بألوان شتى من الاستعمار الذى كان ينصب فى المجالات القيادية والدينية بعض من لا يعمل للدين وزنا ولا للعدل حسابا بما يتلقاه من رشوة ويسلـكه من طرق تخدم أغراضـه ومآربـه ، وهـذا احتمال يتفـق فيه ناظـم القصيدة الشعبية مع راوى ومبدع مثـل هذه الحـكاية ، فهذا شاعر شعبى نسمعه يقول فى كلمات زجلية عن فترة تاريخية حالكة السواد كانت خلالها أرضنا العربية فى ليبيا تئن تحت وطأة الاستعمار .

مضى العمر ها الأيام ما ريناهم [1]

مريضـات ندعــو الله يبــرى داهم

***

(1) السنوسى السايح ، العمر80 سنة من بلدة الزيغن ، محافظة سبها .

ندعــو المـولــــــــــــى

يبــرى مرضنــا كان جتنــا دوله

علـم منتصــب طايع الله ورسوله

اسلام صافية والغلث ما هو معاهم

بالسيف يبغـى النــاس ينطاعــو له

واحنـا ذنبنـا كيف الـكلاب معاهم

الجامـع العربــى وينهــو تمشــو له

ســوا يكرهــو والا سوا برضاهم

وكان راجعــن لأيام ها لبغوله

ســورة التوبــة والانفعــال اقراهم

وهذا شاعر آخر(1) يقول فى أحد مقاطع قصيدة شعبية سوف يجدها القــارىء فى هذا البحــث ونحـن فى سياق الحديث عن الشعر الوطنى فى الصفحات القادمة .

---

(1) الحاج محمد القذافى .

مـا عنـدنـا حيتيـــــــه

مـع دولـة الكفـار ها البغظية

القضيا عتالـة والشيوخ رعية

انضلـوا معاهـم والظـلال عماهم

وفى الأدب الشعبى الذى يصطبغ بالصبغة الدينية ، هناك لون من الحكايات الشعبية يعتمد نصها على الوعظ المبـاشر ، خالية من التعقيد بعيدة عن الرمـزية ، فالحكايات الشعبية التى تمتاز بالطابع الدينـى والوطنـى وتعالج قضايا عامة وبأسلوب مهـذب ومحبـب يجب أن تسجل من الرواة على غير طريقة الجمع الميدانية المألوفة التى كثيرا ما تركن نصوصها المسجلة أو المدونة فى زوايا المكتبات أو المراكز ولا تنال حقهـا من الدراسـة الجـادة والنقاش الهادف ، شأنها شأن النصوص الأخـرى التـى تجمع للحفاظ عليها من الضياع ونسارع بجمعها خشية موت الرواة ، لحين عملية اجراء البحـث فيهـا ، ومـع الزمن يصبح هذا التمهل نوعـا من النسيان والاهمال ،

خاصة هذه الحكايات التى تحمل ملامح تربتنا الطيبة بكل ما فيها من قيم نبيلة عزيزة على نفوسنا قريبة منا . والقاص فى تراثنا الشعبى كثيرا ما يسخر مظهر من مظاهر الطبيعة ويجعلها كعنصر أساسى فى حكايته يستعين بها على محاربة الشر لينتصر الخير ، أو يستعمل الحيوان ويتركه ينطق ويعبر عن لسانه عن شىء ما ، فالحيوانات والطيور وغيرها ظاهرة ما زالت موجودة فى أدابنا الشعبية وهو ما نجده حتى الآن فى قصائد وأهازيج الشعراء ومؤلفى الأغانى . . وهذا نص من بعض نصوص هذه الحكايات والتى تدعو الى الأخوة والقيم الرفيعة .

اللهم لا تسلطهم على بعضهم

يقال أن هناك رجلا عنده جمل يحمل عليه الخشب ويبيع فيه ، ولكن الرجل هذا مش معتنى بالجمل ، لين جاع منه الجمل ، وعندما أحس بالجوع وهزل ، صاحبه فكر ببيعه للجزار . . مشى الجمل هارب وكل من يصادفه فى الطريق بيجى هاجم عليه ويبغى عضه ، حتى لين التقى بالنبى صلى الله عليه وسلم وجاه هاجم عليه . . شافوه الصحابة جو متلقيينه . . حالوا بينه وبين سيدنا محمد ، وواحد منهم رفع السيف بيقطع به رأس الجمل ، قال النبى اتركوا هذا الجمل ، واقترب الجمل من النبى وقبل رجلى الرسول . نادى الرسول فى الناس . قال لهم . من صاحب هذا الجمل . قال

إعرابى : أنا صاحبه قال رسول الله : ليش تركته جعان وتحمل عليه الأخشاب وعندما هزل تريد بيعه للجزار . قال الاعرابى . أنا محتاج . قال الرسول : هل تبيعه قال صاحب الجمل . نعم . دفع الرسول ثمن الجمل لصاحبه وأعتقه .

وقال للناس من منكم يحظى هذا الجمل . فأنا سامحته فيه . رفع الجمل رأسه الى السماء وصدرت منه همهمات . ورفع الرسول يديه وقال آمين ، وعاود الجمل ثانيا وثالثا ، وفى كل مرة يرفع الرسول يديه ويقول آمين ، وبعدها نشدوه الصحابة . يا رسول الله احنا شاهدنا ولكن ما سمعنا شى . هل تخبرنا ايش قال الجمل حتى قلت آمين . قال الرسول ﷺ : فى المرة الأولى قال الجمل وهو يدعو الله ، اللهم لا تنزل العذاب على أمة محمد . وفى المرة الثانية ـ قال اللهم لا تخسف بهم الأرض ، وفى المرة الثالثة ـ قال اللهم لا تسلطهم على بعضهم البعض .

الديك يحتل البلاد[1]

الراوى :

حكاية دويك بن دويك :

فيه ديك جاء ينقب بين رحاتين ، لكن الـديك هذا لقى حبة قمح وحبة شعير ، مشا لقى مرأة ترحى قاللها نبيك ترحيهم مع عشا ضناك ، رحتهم وبعدين قاللها انا دويك بن دويك جيت انقب بين رحاتين لقيت حبة قمح وحبة شعير ، حبة شعير بسفة دقيق ، عطاته سفة دقيق .

لقى وحدة تعجن قاللها هاك أعجنيها ، قالتلـه شنـو

(1) الراوى السايح السنوسى من سكان بلدة الزيفن محافظة سبها .

هذا قاللها ، أنا دويك بن دويك جيت انقب بين رحاتين لقيت حبة قمح وحبة شعير ، حبة شعير بسفة دقيق وسفة دقيق بقطعة عجين . عطاته قطعة عجين .

رفعها لقى وحدة ترمى فى الخبز فى الفرن قاللها ارميها ، أول ما رمت قاللها انا دويك بن دويك جيت انقب بين رحاتين لقيت حبة قمح وحبة شعير ، حبة شعير بسفة دقيق ، وسفة دقيق بقطعة عجين ، قطعة عجين بخبزتين ، عطاته خبزتين .

مشا لقى واحدة تخبز فى العيش قاللها انا دويك بن دويك جيت انقب بين رحاتين لقيت حبة قمح وحبة شعير ، حبة شعير بسفة دقيق ، وسفة دقيق بقطعة عجين ، وقطعة عجين بخبزتين ، وخبزتين بخمار عيش ، عطاته خمار عيش .

نقله لوحدين يقطعوا فى التمر ، قاللهم هاكم بردوا به التمر ، فرحوا ، قاللهم أنا دويك بن دويك جيت انقب

بين رحاتين لقيت حبة قمح وحبة شعير ، حبة شعير بسفة دقيق ، وسفة دقيق بقطعة عجين ، وقطعة عجين بخبزتين ، وخبزتين بخمار عيش ، وخمار عيش بغرارة تمر ، عطوه غرارة تمر .

لقى وحدين يسلوا فى البصل قاللهم هاكم بردوا التمر ، فرحوا بردوا به ، قاللهم انا دويك بن دويك جيت انقب بين رحاتين لقيت حبة قمح وحبة شعير ، حبة شعير بسفة دقيق ، وسفة دقيق بقطعة عجين ، وقطعة عجين بخبزتين ، وخبزتين بخمار عيش ، وخمار عيش بغرارة تمر ، وغرارة تمر بغرارة بصل ، عطوه غرارة بصل .

خذاها لقى ارعاوية يرعوا فى السعى(1) قاللهم هاكم بردوا به الشمس ، انا دويك بن دويك جيت انقب بين رحاتين لقيت حبة قمح وحبة شعير ، حبة شعير بسفة

---

(1) السعى : اسم يطلق على قطيع الغنم أو الماعز .

دقيق وسفة دقيق بقطعة عجين ، وقطعة عجين بخبزتين ، وخبزتين بخمار عيش ، وخمار عيش بغرارة تمر ، وغرارة تمر بغرارة بصل ، وغرارة بصل بحولى ، عطوه حولى [1] .

مشا لقى جماعة فى الطريق بات هوه وياهم ، وذبح هذاك الحولى وشوه أيديهم وهم راقدين ، باتوا ، ووين ناضوا الصبح قاللهم أنتم ذبحتوا الحولى ، قالو له ما ذبحناهش ، قاللهم شموا ايديكم ، شموا ايديهم ، لقوا فيها صنة الشواء ، قالوا صحيح شورنا ذبحناه ومناش واقظين ، قاللهم اندير لكم حاجة اما قبلتوها سامحتكم ، وان مقبلتوها شكيت فيكم ، قالو له شن هية الحاجة ، قاللهم وين انجو للبلاد الفلانية ترقدوا فى وسط القبور فى الجبانة ، ووين ينشدوكم عرب البلاد قولولهم البلاد بلاد الدويك ، نقلهم وحطهم كل واحد فى تركينة من الجبانة

---

(1) حولى : خروف .

وجا لأهل البلاد ، قاللهم يالله ارحلوا من بلادى ، قالو له انت ديك وترحلنا من بلادنا ، قاللهم انا ديك ونرحلكم ، ياللوا انشدوا عرب جبانتكم كان قالو لكم البلاد لكم اقعدوا وكان قالو لكم البلاد للدويك ارحلوا ، مشولهم ، قالوا لهم يا عرب الجبانة ـ البلاد لينا واللا للدويك ؟ قالوا لهم للدويك للدويك للدويك ، قالوا هذا سخطاتو ينزل علينا ياللا خلوله هاذى البلاد وبرو . وجيت منهم وخليتهم وبوذنى سمعتهم وبعينى ماريتهم .

قد تكون هذه الحكاية الشعبية بسيطة أبسط من البساطة نفسها وقد يقول عنها القارىء لها دون تركيز والسامع لأحداثها دون تمهل فى اصدار حكمه عليها انها من نوع الهراء الذى يضحك البلهاء أو هى شىء من ثقافة الأطفال اذا ما مر عليها المقيم بمرآة النقد اللين . وقد يكون لغيره رأى مخالف لذلك تماما ، ومهما تكن الآراء فهذه الحكاية الشعبية التى تضحك السامعين وتجهد

الراوى وهـو يسرد أحـداث بطلهـا « الـديك » منـذ أن تحصل على حبتى القمح والشعير من بين فكى الرحى الى أن أخرج أهل المدينة بعيدا عن ديارهم واحتل هو الأرض وما عليها : وهو كلما مر بأحد الذين يريد الانتفاع منهم حكى له بداية قصته الى نهايتها مؤكدا فى الحاح المتـذلل مدى ما لحقـه من عنـاء فى سبيل سعيه للحصـــول على حاجته التى ينوى انتزاعها منه ، وتجـود اليد العليا ـ يد المعطى ـ فى سخاء ليس من ورائه هدف ، وتتقبـل اليد الشريرة هذه الهبة الصغيرة فى نظر صاحبها ومـن حولـه والكبيرة القيمة فيما ينوى متلقيها أن يسخرها من أجله .

اذا كانت حبتى القمـح والشعـير تصبـح بعـد فتـرة من استبدالها بالدقيق ، والدقيق بالخبز ، والخبـز بكمية من التمـر ، وكمية التمـر بكمية من البصـــل ، والبصـــل بالخراف الى أن كبـرت رأسمالية هذه التجـارة اليهـودية وأصبحت أخيرا قوة فى يد صاحبها يرغم بها مجموعة من الأحياء على النوم وسط مقابـر الموتـى ، وليشهـدوا عنـد

سؤالهم من قبل أهل البلدة شهادة زور ـ البلاد بلاد الديك .

هذه الحكاية الشعبية الخرافية لا نغالى اذا ما قلنا اننا نعيش هذه الأيام قصة حقيقية شبيهة بها تختلف عنها فى أنها مبكية ، ولو قمنا بتحليل عناصر حكايتنا الشعبية الأولى على ضوء أحداث القصة المشابهة لها والتى نعيش أحداثها الآن بداية وموضوع مع اختلاف رواتها اذ أن الأولى رواتها بسطاء طيبون والثانية رواتها حكومات ومجالس لأثبتنا أن عناصرها تتلخص فى الآتى :

الديك بنى صهيون . . . .

فكا الرحى هما الشرق قديما بكل ما عرف عنه من قوة لا تبقى ولا تذر لمن يريد النيل من حريته أو كرامته أو حقوق أفراده .

ومع ذلك قد استطاع هذا الديك أن يظفر منه بحبتى القمح والشعير ويستبدلها . . ويستبدلها ، وهذه بداية التجارة اليهودية التى عاصرها جيل الكبار ، كان

اليهودى فى طرابلس والكثير من البلاد العربية يجوب القرى ، وسيلته فى التنقل ، حمار ، وتجارته حفنة من أشياء تافهة مثل اللبان وأدوات زينة المرأة . . يمد يده للقليل من الصوف والخرق البالية ، ولا يترك ما يعطى له وما يستطيع أخذه توسلا وتذللا ، ولكنه يحمل فى ضميره ما يحمله « الديك » بطل الحكاية الأولى . بأن يجعل ما يتحصل عليه من القوم فى يوم من الأيام قوة مادية تساعده على طردهم بها من أرضهم ، ثم الشهود الاحياء الأموات الذين ورد ذكرهم فى حكاية الديك ، أليس كل المساندين للصهاينة أمواتا أحياء بلا ضمائر ينزوون بعيدا عن شهادة الحق وهم العارفون أن فلسطين أرضا عربية ؟ .

أليست هذه الحكاية الخرافية شبيهة كما قلت لكم بقصتنا التى نعيشها اليوم فى حربنا مع الصهيونية والامبريالية والاستعمار ؟ وبقى بعد ذلك أن نتتبع هذه الحكاية الشعبية ، هل هى حكاية يهودية أصلا كانت فى

بادىء الأمر تحثهم على السير فى هذا الاتجاه مثل ما تفعله الحكايات التى تؤكد قيما خلقية وتعليمية وعملية ؟ . . أما انها حكاية شعبية عربية أراد مبدعها الأول التحذير مما نحن فيه اليوم من صراع مع قوة صهيونية كانت بالأمس حفنة من الاذلاء المشتتين وكأن هذا المبدع كان فى مستوى التفكير الفلسفى الذى يسبق الزمن كما ذكرت فى مجموعة التساؤلات عند تقديمى لموضوع الحكايات الشعبية فى بحثنا هذا .

وهناك بعض الحكايات الشعبية التى تتبعها الباحثون فيها والمؤرخون لها الذين أطالوا الامعان فى محتويات نصوصها وهى تعتبر جزءا من ثقافة الانسان فى المرحلة التى تحولت فيها البشرية من عبادة بعض المظاهر الطبيعية وتصديق ما حوته الاساطير القديمة الى الاعتماد على النفس واستعمال العقل لمحاولة الوصول لمرحلة الانتقال الى حياة أفضل .

وقد كان هؤلاء الدارسون يعتمدون فى كتاباتهم

وتزكية آرائهم على ما وجدوه من نصوص الحكايات الشعبية التى تحمل بقايا الملامح الاسطورية القديمة فى الحكايات الشعبية التى تمثل المرحلة التى حلت فيها هذه الحكايات محل الاساطير لا من حيث الناحية الوظيفية العملية ، بل من حيث ما تؤديه اعلاميا أو ثقافيا . ثم ما تبينوه من فرق شاسع بين محتوى الاساطير القديمة وبعض الحكايات الشعبية التى تتناول القيم السائدة فى البيئة والتى تعتبر أيضا من نتاج آخر مرحلة من مراحل انتشار الحكايات الشعبية التى كانت الى زمن ليس ببعيد لا تخلو منها سهرة من سهرات العائلات فى الريف التى تتولى فيها الجدة أو الام أو أحد الرواة الترويح عن الحاضرين بسرد هذه الحكايات الجادة أو الهازلة ، ومهما يكن لهذه الراوية أو لغيرها من الرواة وفرة فيما يحفظونه من هذه الحكايات الشعبية الا أنه مع كثرة ترديدهم لها لمستمعيهم أو لجمهورهم المحدود فى نطاق الاسرة الواحدة أو البلدة الواحدة ، فقد تناقلها عنهم سامعوهم

ونقلوها بدورهم للآخرين الى أن عمت وسائل الاعلام الحديثة وتعلق هؤلاء الرواة وجمهورهم بما تقدمه وسائل البث وما تدفع به دور النشر ، فحالت وسائل الاتصال بين الشعب والتراث ولم يبق سوى ما له ارتباط بعاداتهم ومعتقداتهم .

ان ما نستخلصه دائما من كل لون من ألوان المعرفة الشعبية هو ضرورة وجوب الاهتمام بالمعارف التى يبدعها الشعب ويرويها .

والآن ـ ونحن بصدد الحديث عن الباحث أو الأبحاث التى تمت فى هذا المجال ـ نتناول بعض من فقرات كتاب « الأدب الشعبى فى ليبيا »[1] .

ومن قراءتنا لسطور هذا الكتاب نستطيع القول بأن المؤلف قد وفق فى جمع وتدوين بعض الأمثال الشعبية ،

---

(1) كتاب الأدب الشعبى فى ليبيا للاستاذ محمد سعيد القشاط صدر له عدة دواوين من انتاجه الشعرى ، يشغل رئيس تحرير مجلة الوحدة بطرابلس .

ولا أقصد ان ما قدمه فى هذا الباب لم يكن كله جيدا ، وانما أقصد بأنه جعل هذا الفصل من فصول كتابه صغيرا لا يتعدى الصفحتين وكذلك الفصل الذى خصصه للتعابير الشعبية والالغاز النادرة ، الا أنه لم يتوسع فى هذا الباب أيضا ، وقد كان نصيب ألوان الأدب الشعبى المتعددة بهذا الكتاب جملا قليلة بالنسبة لما حواه من الشعر الشعبى وقد بلغت أبوابه مائتى صفحة .

ولا نريد أن نتعرض هنا لأبواب الشعر فى كتاب « الأدب الشعبى فى ليبيا » من حيث جودتها أو قيمتها الأدبية أو التاريخية أو الاجتماعية وما تؤديه من أغراض اذ نترك ذلك للمتخصصين فى مجالات النقد الأدبي وانما نتناول هذه القصائد من حيث انها منسوبة لأصحابها ، والمؤلف نفسه نجده متفقاً معنا في مقدمة كتابه : وهو أن المأثورات الشعبية هى التى تمتلكها الجماعة وتتداولها فيما بينها وتضمن لها البقاء والانتشار ولا مكان للمبدع الأصلى فيما أصبح حقاً للجماعة .

ومع تقديرنا للجهد الذي بـذل في سبيل تدوين هذه القصائد والأمثال العامية والالغاز والتعابير والنوادر ، الا أننا اذا ما القينا نظرة على الباب الذي سمى « بالا ساطير الشعبية في ليبيا » فانه يحق لنا مناقشة تسميته لهذه الحكايات الشعبية بالأساطير ، فهناك فارق كبير بين الاسطورة والحكاية الشعبية البسيطة ،ولكل منها طابعها وأسلوبها وثوبها وابعادها .

فالاسطورة - حسب معرفتنا البسيطة لها من خلال أبحاث وكتابات من تناولها - تمثل دساتير أمم عايشتها ، وقد انقرضت هذه الامم التي كانت لا تقبل الجدل ولا التشكيك في صحة وصدق أساطيرها . وفي كتاب « نصوص ليبية » للاستاذ على فهمي خشيم لمحة عما يتعلق بالأساطير الليبية . ومن يطلع على هذه الاشارة يستطيع أن يتبين الفرق بين البناء الاسطوري والحكاية الشعبية ، كما يتأكد من أن المجتمع الاسطوري هو ذلك الذي لم يبق من ملامحه سوى آثاره التي نرى بقاياها أو ما

غطتهـا طبقـات الأرض ودلـت على ملامحهـا بعض الحفريات فى العصر الحديث .

أما بالنسبة للحكاية الشعبية أو الخرافة ـ كما تسمى فى بلادنا ـ فهى قابلـة للجـدل ، وبعض الحـكايات قابلـة لتكذيب فحواها أصلا وتفصيلا .

وحتى نعطى الفكرة الواضحة عن الاسطورة ، نلتقط هذه الجمل من كتـاب (الحـكايات الشـعبية) للاستـاذ الدكتور عبد الحميد يونس ، يقول فى ص18 من كتابه : « لقد أثبتـت الدراسـة العلمية للجماعـات البـدائية ان الأسطورة عند الانسان القديم الموغل فى القدم أو البدائى تعنى قصة واقعية ، بل انها لها مكانتها الرفيعة فى حياته لأنهـا مقدسـة ولأن لهـا هدفـا كبـيرا وأنهـا ذات مغـزى عميق » .

ويستدل بكاتب آخـر فيقـول : « والاسطـورة ـ كما يقول (بروسلاو ملينوفسكى) ـ تقوم فى الثقافة البدائية

بوظيفة لا غنى عنهـا ، فهـى تعبـر عن العقيدة وتقننهـا وتصون الأخلاق وتدعمهـا وتبرهـن على كفـاءة وتفهـم قواعد عملية لهداية الانسان » . .

وفى نفس الكتاب (ص19) يقول : « اذا أردنا أن نحدد مجال الاسطورة فاننا نشير الى انها حكاية اله أو كائن خارق تفسر بمنطق الانســان البدائــى ظواهــر الحياة والطبيعة والكون والنظام الاجتماعى وأوليات المعرفة » . فالحكايات أو الخرافات التى قدمها الاستاذ محمـد سعيد القشاط فى كتابه « الأدب الشعبـى فى ليبيا » تحـت اسـم « أساطير ليبية » تحتاج لنظرة . . ولنلقـى بعض الضـوء على ما قدمه :

الأسطورة الأولى

وفحواها أن سلطانا غزا بلدا مجاورا كان مصدر قلقه ومتاعبه فاستشار مستشـاريه ، فأشـاروا عليه بأن يقتـل كبارهم أما صغارهم فيقتلهم عرفهم ، فشدد أوامره بأن يقتل كل شاب أباه والا تقتل جميع العائلة التى يعثر فيها

على شيخ مسن ، فاستجاب أغلبهم لهذه الأوامر الا شابا واجدا سارع باخفاء أبيه . وعند محاولة السلطان تنفيذ مخططه الثانى وهو أن يتخلص من جميع الشباب علق (جرة) على غصن شجرة مطلة على بركة ماء وأمر كل واحد من هؤلاء الشباب أن يقدم على أخذها فيتخيلها كل مقدم على أخذها بأنها فى بركة الماء فيغرق . الى أن جاء دور من اخفى ابيه فاستمد منه النصح واتجه الى مكان الجرة الطبيعى فأنزلها من الشجرة .

واستفاد الشاب مرة أخرى من نصيحة والده .

فى موضوع آخر ، عندما كلف السلطان كل واحد بأن يأتى بقصعة على رأس ثور ، فاختار هذا الشاب لمهمة الثور رجلا لا يعرف القراءة والكتابة وغضب السلطان لأنه طلب منه أن يأتى بالقصعة على رأس ثور ، فأجاب الشاب بأن هذا الرجل لا يعرف القراءة ولا الكتابة ولا اليوم الذي يوجد فيه فهو بذلك لا فرق بينه وبين الثور .

واستمر السلطان يكرر طلباته فامر ان يأتى كل واحد ومعه صديقه وعدوه ، فحاول الناس أن يأتوا بهم ولكنهم لم يتفقوا على الوصول الى مكان السلطان ، فمن أتى بعدوه لم يطاوعه فى الذهاب ، ومن أتى بصديقه ظهر أنه غير صديق ، الا هذا الشاب فقد اتى بزوجته وكلبه ، فلما سألوه عنهما اجاب بأن الكلب صديقه وزوجته عدوه فبادرت الزوجة قائلة للسلطان ان زوجها قد أخفى والده ، وفى ذلك مخالفة صريحة لأمر السلطان .

هذا ملخص الأسطورة الأولى سردنا فكرتها باختصار .

الأسطورة الثانية

وهى أن رجلا له ولدان يقتل أحدهما الآخر بطريق الخطأ ويقتل هو نفسه بعد ذلك ، فيقسم الأب ان يمتنع عن المأكل والمشرب ويستمر فى حزنه الى أن يسمع بأغرب من قصته فيقص عليه رجل آخر قصته فيعتبرها أغرب من قصته ويستمر فى سرد وقائعها له وما يكاد ينتهى منها حتى

يجد الرجل المنصت اليه قد فارق الحياة .

الأسطورة الثالثة

سلطان يمنح الناس شيئا من البذور فى مواسم الزرع وعند حصاد محصولهم يأخذ منهم أكثر مما اعطاهم وأحيانا أكثر من محصولهم كله . وفى عام من الأعوام اجمع هؤلاء القوم على أن يأكلوا ما منحهم من بذور ، وعند مطالبته لهم بالتسديد اجابوا بأنهم قد زرعوا هذه الحبوب الا أنها قد نبتت شوكا ، فأمر بأن يجمع كل منهم ما زرعه ويدرسه مهما كان نوع نباته وارغمهم على دراس الشوك وهم حفاة .

ونستخلص مما ذكرناه بأن :

1 ـ الأسطورة الأولى عبارة عن خرافة شعبية ينطبق عليها طراز981 وجزء من طراز921 .

2 ـ الأسطورة الثانية خرافة شعبية ينطبق عليها طراز 947 .

3 ـ الأسطورة الثالثة عبارة عن خرافة شعبية من طراز 910 .

وهذه النظرية من كتاب العالم « ستيت طومسون»(1) ـ طراز الحكايات الشعبية ـ الذى صدر سنة 1926 « الطبعة الثانية » .

وخلاصة القول يبدو ، بأن الأخ محمد سعيد القشاط قد أخذ عن بعض المصادر التى تعرضت للحكايات الشعبية واسمتها « بالأساطير » ومهما يكن فاننا نشجع فيه روح الحماس والاهتمام الكبيرين . والجهد المشكور الذى أفصح عنه كتابه الآنف الذكر .

وقد قصدنا من هذه الاشارة تصحيح المفاهيم لمن يتناول هذا الجانب من ثقافتنا الشعبية ، وهى الحكايات الشعبية .

---

(1) كتاب « طراز الحواديت الشعبية » للعالم الأمريكى ستيت طومسون غير مترجم للعربية ونقل الطرز التى انطبقت على الحواديت سالفة الذكر الاستاذ عدلى محمد ابراهيم الباحث بمركز الفنون الشعبية بالقاهرة .

كما وأن هناك فى كتاب الأخ محمد سعيد القشاط « ص 141 » اشارة الى بلدة (المرج) ببنغازى ، يقول مشيرا الى احتفالهم بليالى العرس :

« تقوم امرأة بالغناء ويقوم من بين الحاضرين رجلا للغناء ، فتسكت المرأة ، والعروس أيضا تقوم باداء غنوة فيرد عليها العريس فتصمت بمجرد بدئه للغناء » .

وهذه الاشارة تتركنا نراجع ما اختزنته ذاكرتنا عما كنا نسمعه من المسنين ولا نعلم بصحته ولا ببطلانه ، وهو انه كان هناك فى هذه الضواحى من بلادنا تقليد متبع ، وهذا التقليد هو أن تقام بين الفتاة التى نضجت وبلغت سن الزواج وبين مجموعة من شباب قبيلتها محاورة شعرية ، وتعلن خطوبتها للشاب الذى تعجز عن محاجاته فى المحاورة الشعرية . ولقد أشارت الى هذا الموضوع السيدة خديجة الجهمى[1] تحت تعريف (بيت

---

(1) السيدة خديجة الجهمى ، كاتبة وشاعرة واذاعية لامعة ، اسهمت بالعطاء الوفير فى مجال الحركة الفكرية والأدبية فى ليبيا .

السلطنه)[1] ، ولا نريد القول بأكثر من ان هذه الظاهرة ربما تكون هى التى انكمشت الى أن أصبحت تتم فى مقطع أغنية تبتدى بها العروس ويغنى على أثر ذلك العريس فتصمت العروس كما ورد فى كتاب « الأدب الشعبى فى ليبيا » .

كما أن هناك لمحة جميلة أشار لها الكاتب وهى الحكاية الشعبية التى تمثل وتحكى والتى تحكى ولا تمثل ، فقد أشار الى نقطة هامة وهى ظاهرة فولكلورية أصيلة وذلك

---

(1) بيت السلطنة هو بيت عادى يخصص للندوات التى تعقد كل مساء برئاسة فتاة من الفتيات التى سبق الحديث عنهن ، يجلسن فى حلقة وتفتتح السلطانة الجلسة بأن تقول كلمة واحدة وعلى الحاضرين تكملتها حتى تتكون منها أغنية معينة ، ويشترط فيمن يعجز عن اتمام الأغنية أن يتنازل عن حرامه (جرده) واذا الفتاة تتنازل عن قطعة من حليها والفتاة التى نحن بصدد الحديث عنها كانت ذكية لبقة تحفظ الكثير من الأشعار والأقوال . وبيت السلطنة مسئولية لا يستهان بها ، فكى تسير فتاة على مجموعة الشبان وتحسن قيادتهم أدبيا ، فهذا أمر ليس باليسير ، العدد الثانى من مجلة (المرأة) (سلسلة مقالات المرأة بين الأمس واليوم) .

عندما نبهنا الى هذه الحكاية التى تتميز بالبناء الحركى أى الروائى والتمثيلى التى تتضمن نصوص شعرية ، فهـذا اللون من الحكايات الشعبية لون نادر وقيم .

العادات والتقاليد دستور الجماعة

العادات والتقاليد دستور الجماعة السائد بينهم ، سنته الأجيال وأقر الزمن صيغته ، وقد تحذف منه أشياء وقد تضاف اليه أشياء أخرى ، ولكن لا سلطان للفرد على ما اقرته الجماعة ما لم يجد منهم التأييد فيما يبدع فى تلوين عادة من العادات ، أو فيما رآه من عدم جدواها للبقاء .

واذا كانت القوانين الوضعية التى تنظم شئون المجتمع كثيرا ما توضع بعد دراسة أو دراسات للبيئة لكى تتلاءم والغرض الهادفة اليه ، فما بالك بما تسنه الجماعة نفسها لنفسها ، وأنى لشديد العجب من بعض الساخرين من بعض هذه العادات والتقاليد والمتكبرين على العرف

والعقل الذى أوجدها دون ما تأمل لميزاتها ووضعها أمام مجهر العقل الذى يتفحصها ويدقق النظر مليا فى سماتها الطيبة أو الرديئة ، فقد نور العلم العقل البشرى واكسبه خبرات وقدرات على بعض ما كان فى طى المستحيل التغلب عليه أو الوصول اليه ، كما أفاده فى بعض نواحى السلوك وما يصادفه فى حياته اليومية ، ولكنه لم يصل الى ابعاد بعض ما سنه العرف الاجتماعى فى كثير من الحالات ، فقد توصى المدرسة والجامعة من ينتمى اليها من الطالبات عن طريق ما تقدمه من مواد خلال السنة الدراسة مصاغة فى أبيات من الشعر أو حكم أو أى مواد أخرى تدور حول الاعتزاز بالشرف والمحافظة عليه ، وقد وضعت القوانين الوضعية فى أغلب بلاد العالم جانبا من تشريعاتها يعاقب على الانحراف ، فهل استطاعت سلطته المتمثلة فى شرطة الآداب أحيانا أن تؤدى ما أدته هذه العادة من عادات أهل البادية ؟

وأنا هنا لا أملك حق التقييم بل أحكى لكم هذه

العادة المتبعة وانتم بعد ذلك تحكمون : ففى كل ليلة من ليالى العرس فى البادية سواء فى الجمهورية العربية الليبية أو فى صعيد مصر لا يرجع المدعوون لحفل الزفاف الى بيوتهم الا بعد زفاف العريس عندما يزفه مجموعة الشبان بكلمات تقول :

صلى الله على الرسول الهادى
على عدد ما زاروه جاى وغادى

* * *

على محمد . على عدد ما شير البرق وهمد
على عدد من سموا أحمد ومحمد
وكل من زاره يبلغ المرادى

وهكذا الى أن يستكمل هذا المقطع ، وتستمر جماعته فى انشاد المطلع الذى سبق ذكره ثم يخرج بعد ذلك وتنطلق الزغاريد معلنة أن العروس عذراء طاهرة ليطمئن أهلها وليفخر بها أهل عريسها وليطمئن

الحاضرون على استمرارية العفة والطهارة والاصالـة فى بلدتهم ، فهذا المشهد جدير بأن تتخيله الفتاة منذ سن الرشد فلا تفرط فى عرضها ولا تبيع شرفها ، لأن التشريع الشعبى فى مثل هذه الأمور قاس جدا ، ولـكن قسوتـه ممزوجة بمرونته ، فالفتاة فى الريف تستطيع القول بأنهـا سافرة تشارك عائلتهـا كفاحهـم من أجـل الحياة ، فقـد ترعى الغنم وقد تحصد الزرع وقد تسقى الابـل وتأتـى بالحطـب ، ولا رقيب عليهـا فهـى حرة متحـررة ، وفى الوقـت نفسـه مراقبـة . لا من النـاس بل من العـرف الاجتماعى من دستور الجماعة ، فهى قد شاهدت مع أمها وزميلاتها اللحظـات الحرجـة التـى ينتظـر فيهـا سكان بلدتهم نتيجة (القمجة) أو (السورية)[1] ليلة عرس أو زفة فلانة ، وكثيرا ما عاشت الفتاة هذا المشهد وهى بنت

---

(1) يقال (القمجة) ويقال (السورية) وهى القميص الحريمى الذى تنام به العروس ليلة زفافها ليشاهده الناس صبيحة اليوم الثانى اعلانا لطهارتهـا وعفتها .

سبع سنوات وثمانية وعشرة . وهكذا ، الى ان رسخ فى ذهنها ما يجب عمله تفاديا لنتيجة مخجلة تجلب لها العار أو القتل أو الانتحار ، لذلك نادرا ما تفرط فى شرفها قبل أن تسلم الروح الى بارئها ، فما رأيكم فى دستور الجماعة ومن الساخرين مما تحترمه الجماعة ؟

فيا أيها الكتاب المطالبين بالجديد من الموديلات والموضات والتخلص من كل ما هو قديم من عاداتكم دون دراسة لهذه العادت القديمة ، ليتكم تعلمون بخطورة هذا المجال الذى تخوضون فيه ، ففى عادات الشعب وتقاليده القديمة وأفعاله وأقواله وثقافته دعوة للتماسك والترابط والعفة والطهارة ، والمجتمع المتماسك أشد على الاستعمار من مدافع الهاون ومصانع الذرة ، فلا ينفذ له من أى منفذ ، ولو سألتموه لقال لكم أخشى تماسكه أكثر مما أخشى قوته ، فالأفكار التى تنادى بالثورة على كل القيم العربية والاسلامية متأثرة بقشور حضارة الغرب وكل أهدافها تحوم حول تفكك الأسرة والقرية

والشعوب العربية عامة ، هذه الافكار ان لم يكن الاستعمار مغذيا لها ، فهو حتما مرحبا بها متمنيا المزيد منها .

وقد يرى البعض فى حشد المنتظرين لنتيجة (القمجة) أو تأكيد عذارة العروس ، خروجا على الآداب ونغمة نشازا لا يهضمها الذوق السليم ، وأقول ـ وهذه وجهة نظر خاصة ـ ان الحشد المتحمس لسماع خبر (القمجة) المنتظر لنتيجتها انما يفعل ذلك لا ليرجع ومعه همسات الشماتة ، بل لضمان وشمول دستوره الاجتماعى وضرورة نفاذه . وعسى أن يقول قائل : واذا جاءت النتيجة عكس المنتظر ، فما هى عقوبتهم لمن تلاعب بتشريعهم هذا ؟ ويأتى الجواب : (لا) بالنسبة لنوعية العقوبة ، فالواقع قد سجل أكثر من حالة ، فهذه ناحية معروفة للجميع ، ولكن يجب أن نقول كيف تستمر الثقة فى مثل هذا العرف المتعارف عليه ، وتأتى الاجابة من قبل أقوال الشعب لأنها سند لأفعاله فى مثل هذه

الظروف ، فلا يلبث الخيال الشعبى بعد تلك الحادثة حتى يتناولها بالهجاء الجارح ويضفى على صاحبتها هالات مهولة من تصوير رداءة أفعالها وحقارة خلقها ودناءة تصرفها وانحطاط تربيتها وكأنه يشهر بها عند ارتكابها فعلتها جاهرا بقوله فى صيغة حكايات وشعر ومواويل .

ولا يكتفى الشعراء بترديد قصائدهم فى مجمع واحد أو مناسبة واحدة بل يتخذون من الأعراس فرصة لتجمع ساكنى البلدة ويقف هذا الشاعر يلقى شعره بصوت مجلجل يسمع الغافلين ويعيد الخبر الى ذاكرة العارفين ، وقد تلاحظه وهو ينشد شعر الهجاء فى حماس وانفعال وكأنه رجل النيابة وقد أمسك بخيوط الجريمة . ولماذا يجتد رجل النيابة المهذب المتعلم المرموق وقد يكون المحب للناس كل الناس ، أليس دفاعا عن حماية القانون ؟ وهكذا الشاعر الشعبى أيضا لأنه يدافع عن عرف البيئة ، عن القيم المتبعة بين الجماعة ، عن دستور الجماعة .

ويجب أن نشير الى اننا لا نقف حجر عثرة فى طريق التقـدم ، ولكننـا نريد أن تكون حضارتنـا مرتـكزة على مقوماتنا الأصيلة وتقدمنا مستندا على شريعتنا السمحـاء مستمدا من تراثنا وعراقتنا .

وهذه لمحة من شعر الهجاء الـذى تمطـر به الفتـاة فى البادية عند التفريط فى شرفها :

قرى فاتحـــه يحسابهـــا بيتيه
منـــين جابهـــا ظهـــرت بلا سوريه

* * *

فـــى عرسهـــا يتـــرجـــــــــــى
قـرى فاتحــة ظهـــرت بغـــير قمجه
وفى نجعهـــم والعـــرس صارت رجه
شهـــدوا عليهـــا كبـــار وضريرية(1)

---

(1) ضريرية : أطفال .

بوهـــا عقـــب ما عاد عنـــده حجة
دلـــوه انشرك معـــاد فيه أميه

* * *

تـــم لـــزومـــــــــــــــــــــه
قـــرى فاتحـــة وجـــت كسوتـــه متمومة
وين ما دخـــل دلاعتـــه مرشومة
ليه تعملى البطـــال يا ذيليه[1]
لبـــوك وامـــك يا عليك حشومه
انشـــاد الخبـــر بـــين العـــرب جملية[2]

المعرفة الشعبية ثقافة تتجدد مع تجدد الأيام ، وتتطور بتطور المجتمع الحامل لها ، ولكنها فى خضم هذا التطور الاجتماعى لا زالـت تقف فى خشـوع واجـلال لما يرتبـط

---

(1) ذيلية : حقيرة .
(2) قائل هذه الكلمات نور الدين العزومى ـ ، شاعر شعبى مقيم ببلدة براك موطنه الأصلى الشويرف ، محافظة غريان .

بالعادات وما ينظم شئون الأسرة ، بل كثيرا ما ينال التأنيب والهجاء الجارح كل من يحاول التمرد على هذا النظام أو العادة والمعتقد .

وهذا شاعر فى كلماته شبه الباكية على ما لمس من جفوة بين بعض الشباب وآبائهم وعدم اكتراثهم لما أوصى به عرفهم ازاء احترام الشباب لوالديهم ووجوب بقائهم معهم بعد الزواج والى أن يفرق بينهما الموت . قد يكون هناك شيء من الواقع فى تناول هذا الشعر فى قصيدته لهذه الظاهرة ولكن هل هى حقا قد انتشرت فكرة هجر الشباب لاسرهم بعد الزواج ، وقد يكون قصده محاربة الداء قبل وقوعه مثلما يفعل أطباء الصحة فى اعطائهم الحقنة الواقية من المرض للاصحاء وقاية من انتشار المرض بينهم .

والشاعر فى هذه القصيدة يمكن أن نقول انه سار على منوال المبادىء الاسلامية وهى التى توصى بطاعة الوالدين الى أبعد الحدود ، وهذا رأى جائز والى جانبه يجب ألا نغفل دفاع الشاعر عن القيم الموروثة التى يعتز بها فى

عرفه الاجتماعى سواء كانت مبادىء اسلامية أو سلوكا موروثا تناقلته الأجيال وشب مع كل منهم وتلقاه عن سابقيه فاصبح لا يرضى بغيره بديلا . وباختصار ، فان الهدف الحقيقى للشاعر نستطيع القول بأنه دفاع عن تماسك الاسرة .

فهذا شاعر يقول :[1]

بن خبرك عن هاالوقت وجيله
اللى يدير زوجة من هلا تشكيله

* * *

هالوقت وحاله
اللى يدير زوجة ما عليه عواله
على شأنها يكره جميع عياله
يكره قرابه كلهم تجميله

(1) الشاعر أبو بكر السايح من سكان بلدة الزيغن ، محافظة سبها وعمره اربعين سنة عند تدوين الكلمات 1971 م .

ولهــل المراه يبــدى موســع باله
في سعادهــم يجــرى بكل وسيلة

* * *

هــالــوقــت وبــاســـــــــــه
اللى يدير زوجــه تكره فى ناسه
يبــدى معاهــم كاثــرات حساسه
قبــل السبــوع يقسمــوا بالكيلة
ولهــل المراه يمشى معلى راسه
مــن قبــل عدوا ياسرين مثيله

* * *

هالــوقــت انتــــــــــــوه
اللى يدير زوجــه تكره فى الخوه
مع بوه وأمــه توحلــه فى دوه(1)
ومــن حوشهــم يمشى يســوق رحيله

---

(1) دوه : كلام .

غضبـــان منهـــم رافعاتـــه نوه
ويحـــط وين تقولـــه وتوميله

* * *

هالوقـــت ودوتـــــــــــــــــــــه
اللى يدير زوجـــه تكره فى بيوته
يكره وبيه ومينتـــه مع خوته
ويكره خواتـــه والغلـــب وتيله
حلا سهرتـــه مع نسيبـــه الهلفوته
تقعمز[1] وينعـــم وين ما تحكيله

* * *

امهـــا تعـــرفهـــــــــــــــــــــها
كان قال كلمـــة فى الهـــوى يلهفها
تقولـــه كلامـــى امينتـــك تلفها
ولبيت بنتـــى ما تخش رزيلة

---

(1) يقعمز ـ يجلس .

وهـذى نصيحـة يلزمـك تعرفها
أكبـر عدوى بوك ما تمشيلة

* * *

بنخبـرك عن هالوقـت وريحة
اللى يدير زوجه زعـم كيف الطيحة
قبـل السبـوع تقـول ليه صريحة
عيالك عدو ما شبحهـم نرعيله
مجبـور تقسـملى بغـير فضيحة
انـا شنـو غـيرك ما نريد نجيلة

* * *

هالوقـت هـكا
اللى يدير زوجـه من هلا تشكا
تحلف بربـي والرسـول ومكه
مع هلك(1) ما نقـدرش نقعـد ليلة

---

(1) هلك : أهلك .

يكمــل عليهــا يقــول ملا فكه
مــن زمــان خويا هكذا طاريله

***

بعــد جيب يالخــوان راهوبوز
بــالخص لكانــا كبــر وتزوج
من أول بداية راه عقلــه فوز
لاعــاد يصلــح شى فى تعديله
فى الليل يفــكر والنهــار يروز
على فراق ناســه خاطــره يدويله

كلمات تموت وكلمات يضمن لها الشعب الخلود ، قد يرى البعض أن ما يقال فى الغربة من قصائد ما هو الا حنين للوطن والأقارب والأصدقاء وقد يحفل النقاد بجمال اللفظ أو عذوبة التعبير والغوص فى أعماق الشاعر . هذا الشاعر أو الاديب يعبر بانتاجه ما يعـانيه ماديا أو نفسيا ولكن لو خطر ببالنا ونحــن فى سياق هذا التقييم دعـوة

التماسك هذه لوجدناها أبرز النقاط جميعا فى شعر الغربة خاصة ، فقد يرسل الغريب رسائله نثرا ، ولا تمضى مدة حتى يمر ظرفها وتبهت كلماتها بقدوم رسالة أخرى منه أحدث تاريخا وأجمل أسلوبا ، ويكون مصير الأولى الحرق أو أن تذروها الرياح . ولكن كلمات الشعر تنتقل من الورق إلى الوجدان ويتناقلها الرواة وأولهم القادمة اليه ، ويكتب لها البقاء والانتشار وبهذا يصح أن نقول كلمات تحرق وكلمات يضمن لها الشعب الخلود .

ومن شعر الغربة ندون هذه القصائد المتبادلة بين أبناء الأسرة الواحدة والتى ظلت يرددها الناس الذين تخاطبهم هذه الكلمات وكأنها يمين الصدق على استمرار تماسكهم .

يقول الشاعر فى غربته مخاطبا أسرته وبنى عمومته :

لى عين غير تسيل
ولى قلب هايم غير فى لفكار

ما ترقداش الليل
سكب دمعها فوق الحجا قطار
الغربة ترق الحيل
وخدمة نصارى ننوض من لفجار
ما يعرفوش نزيل
ولا تطلب الرحمة من الكفار
اللى يشبحوه ثقيل
يسبوه ويقصو عليه نهار
ولا كان قال عليل
يلزوه ما يخطم على سبيتار(1)
زاد ما هناك مقيل
ساعة وثلث دراج بالمحكار
اللى قبل كان خويل
وعايشين فى الدنيا معاش اقدار

---

(1) سبيتار : مستشفى .

بدى حالنـــا تذبيل
كما حال صايم فى عقــاب نهار
شقينـــا بعــد تدليل
وطينـــا بعــد كنـــا طيور حرار
ستغفــرت فى التجفيل
اللى مكتبـــه ربـــى علينـــا صار
ولانـــا من اللى صحـــاب بوراديل[1]
ولانـــا من اللى يسهـــروا سكار
ولانـــا من اللى يلعبـــوا سكمبيل
مشهـــور بالعربـــى سماه قمار
ماســكين دين جميل
ولا عمـــر من كوهـــب على دوار
عليهـــم بديت هبيل
والكبـــد محروقـــة على بكار[2]

---

(1) بوراديل ـ الخلق السيء .

(2) بكار : كلمة تركية الأصل ومعناها (موقد النار) .

وزاد عمهـــم من طرف هالثقيل[1]
على خاطــره مشغــول يا ستار

ان شاء الله العمــر طويل
ينجيه ربــى حرهــا الافار

عن بن عروس[2] عقيل
على بن خلف[3] والشيخ بولسرار[4]

يا رجــال بحــر النيل
وكل من ولى مشهــور فى لمصار[5]

نبــو فزوعــكم تجميل
ازيادين فى الفقهــا فزعــكم حار

وعيت سى قنانـــة ويارقـــود سطيل
نسوانـــكم وكبـــاركم وصغار

(1) الثقيل ـ كلمة أو اسم يطلق على رصاص البنادق .

(2) (3) (4) هم بعض الأولياء الصالحين .

(5) لمصار : المقصود بها مصر .

بجـاه من قرى الانجيل
بجـاه من عليه مشعشعـة لنوار

بجـاه من اسماه جبريل
هـاتف على الهـدى بسـط أخبار

بجـاه من فدا اسماعيل
نهـار والـده تكاه على ليسار

على الله يدير دليل
ويفكنـا من شبـح هالكفار

نروح قداهـا عـين بو كمبيل
اللى من عربنـا ما الـدير عوار

واللى بدى لبيات عبـد بخيل
سنوسى وين السايح ونسلـه سنار[1]

ومـن نسـل لمعاريد
سكنـاه فى الزيغـن منـين أعمار

---

(1) سنار : لقب عشيرة الشاعر

واليوم هاهــو حالــة القليل(1)
من الصبح يلـوى فى الظهـر كمار(2)

يصبــح فى لبراطيل
بنجـور مسيو كلهــم فجار

احنــا طالبــين اللــه يجــى تحويل
يدور الفلك ويشعشعــن لنوار

ويشــب فى التقبيل
يشبــح ولاده وعمهــم والجار

ايجــى به توموبيل
على ساعتــين يحــط فى لنقار

يلقــى كرارس عامــلات غويل
يدفــع ثلاثــة فرنــك عنــد الدار

---

(1) قليل : فقير .
(2) كمار - حزام من القماش .

لقـــى فى الوكالـــة ولادنـــا بالهيل
وحاشـــدين فيهـــا تقـــول فى جقار
بقـــوا بالسلامـــة عاد والتبجيل
للى مروح حددن لعذار
قص كارثـــة مسراح[1] بالتعجيل
وبـــوج على اللى يعـــوم فى لبحار
يومـــين والثالـــث يبـــى لمقيل
فى وطـــن داير فيه بعض أشجار
يلقـــى رفاقـــه ولاد من تنسيل
يرومـــوا التعـــب فى جرت أم حوار[2]
مع اللى يكونـــوا للـــرفيق دليل
وحاسبـــين مقعـــد بوعيون كبار
بعـــد مشينـــا يومـــين بان طويل
ومنهـــا نهـــار وحـــددت لوعار

---

(1) مسراح ـ ورقة التاشيرة .
(2) أم حوار : الابل .

فاتـــت على « غـــريان » بالتهميل
هوين قابلـت (تشه)(1) على ليسار
خشـــت نزالى عاد ومراحيل
لـــين حددت تجمل (2) ودار غيار
ومنـــه تعـــدت طول لم الحيل(3)
ولبـــات هو طلح(4) من لحرار
باتـــت على غيلان(5) بالتعقيل
لقينـــاه ماحـــل ماهونـــه امطار
نظوهـــا من الصبـــح نقـــل وشيل
وخشـــت سرير ازرق تقـــول ابحار
بدت زايده اطنفـر بنـات اكحيل(6)
تحظـــى كلامـــى يا جعـــد لوبار
انتـــى عز للتهليل
انتـــى عز للمظلـــوم والسفار

من ص(1) الى(5) اسماء بعض الأماكن التى مر بها الشاعر فى قصيدته .
(6) بنات كحيل : الابل .

وبـــديت تكيل فيه ميل بميل

لــين من يمينـــه عقبــت منقار

ناب الجــرو مشهــور فى المقيل

وبعـده « طـويل الحمـر » فى المنظار

وعرقوب « لبـره » يبـان كيف الليل

ومنـــه نهـــار الصبحـــت « فاقار »

روح لوطنـــه فى نهـــار فضيل

لقـــى ناسهـــم ناجيين من لشرار

تعريفهـــا بعـــد تكميل

ثلاثـــة وعشر من شهـــر فورار(1)

الساعـة الثلاثـة بعـــد نصف الليل

جـال الفـكر والـراس عنـــدى دار

سنـــات لربعـــه والاربعـــين قليل

مـــن يزبطـــه واعـــر على الشعار

---

(1) فورار : أحد أسماء الشهور فى التقويم الشعبى الليبى .

بعــد ثلــث ميه والف بالتفصيل

حاســب ودققهــا على المسمار

ويا سيد بدوى قولنــا تجميل

نبيك تعدلــه وتعــيره معيار

كان وافقــك ما فيهش تمقيل

ان ما وافقــك نزعــه بغــير اكدار

غشيم أمــر فى التجويل

غــير خاطــرى يحتــرف على لوكار

ولــو كان بنجيبــه على التفصيل

بــكى خاطــرى يصــخف اللى صبار

واللى مجــرب ما عليه يخيل

فــراق الغــوالى وزاد موح الدار

صلــوا على الجميل

بــو فاطمــة وارضى على لبرار(1)

---

(1) الشاعر السنوسى السايح ، من بلدة الزيغن محافظة سبها .

مـاذا قال الشاعـر فى قصيدتـه لعشيرتـه وهــو بعيد عنهم ، غريب فى غير وطنه ؟ هل ضمنها اعجابـه بمـا رآه ؟ هل أرفقها بمناظر العـراة على شواطـىء البحـر فى مواسم الاصطياف ؟ هل دعاهم لمشاهدة ما بهر رؤياه فى مدينة الأوربيين ؟

بل دعاهم للارتباط بالأرض وللتماسك والصمـود من أجل عمارها ، ماذا اخبرهم فى رسالته التى ترجمها شعرا له على نفوسهم تأثيره وفاعليته ؟ لقد قال لهم بأنه منذ أن تغرب عنهـم قد سافـر لهـم ثلاث مرات ، ولـكن عبـر الخيال .

الرحلة الأولى : ذرفته أمواج البحر الى وطنه الحبيب ووصف لهم رحلته مرحلة مرحلة .

والرحلة الثانية : سارت به سيارة الخيال المسرعة .

والرحلــة الثالثــة : عبــر الصحــراء وعلى سفينــة الصحراء ، قطع مسافاتها على ظهر الهجين ، ولم يغفل

بقعة حول الطريق الا وورد ذكرها فى شعره ، من الآبار الماحلة الى الصحارى القاحلة .

وهذه قصيدة أخرى يقول شاعرها عن الغربة :

طولــت يا سيدى وطــال غيابى
وطــول المخاطــر فيه مانــك غابى

***

طال المخطـــــــــــــــــــــــر
وطـول المخاطــر شــين وين يكثر
فى وين ما بلادى عليه تخطر
انحس نار فى قلبــى تزيد الهابى
ايجى دمـع عينـى تقـول سيل محدر
وان كفيتهــا تذرف كما الميزابى

ونلاحظ من خلال هذه القصيدة بأن الاستعمار كان جاثما على صدر الشعب الذى تغـرب اليه هذا الشاعـر أيضا مثل ما هو الحال فى وطنه حينذاك يقول :

طولـــت يا سيدى[1] وطـــال اريافى

وطـول المخاطـر شـــين فى لوصافى

طول غربتـــى ما هو عليكم خافى

شهادة السبـع سنـين راهـم صعابى

وكيف الشتـــاء ما فيه ليلا دافى

وكيف البحـــر ما فيه طيب شرابى

***

طولـــت يا سيدى وانـــا متغرب

وطول المخاطـر شـين وانـت مجرب

لحـــال باهـــى ننظـــره ويطرب

ولانـــى مع ناسى وبـــين اصحابى

وراهـــى الـــدنيا كل يوم اتخرب

تخلى البيوت العامـرات خرابى

***

(1) يا سيدى : كلمة تقال للاب وللاخ الكبير وتقال فى بعض الأماكن للعم .

طولــت يا سيدى ووحشتونا

وطــول المخاطــر شــين ونسيتونا

ولومــى عليكم يا ولاد حسونة

تستــور يا زيدان مانــك غابى

بالفاتحــة والسر ما تنسونا

نسوانــكم واصغــار والشيابى

***

طولــت يا سيدى وانــا فالهانه

وطــول المخاطــر شــين يابانا

لو لومــى عليكم يا ولاد قنانة

عيونــى سهــارا بأبيات مصابى

***

طولــت يا سيدى وطــال فراقى

وهــاذين سبــع سنــين وانــا شاقى

المرواح كيف نبيه مانـــى لاقى
وكيف ما مشيت انعود موش صوابى
والعـــام هاللى نقـــول توا يلاقى
نشرى الجـــريد يخص حق ثيابى

ويأتى الرد من والد الشاعر بهذه الأبيات :[1]

طال غيابـــــــــــــــــــك
انشـــا الله رضى من الله واللى جابك
وانـــا والـــدك وانـــا اللى نشقابك
بالفاتحـــة والسر من لقطابى
على الله العـــالى يبلغـــك مرادك
وأنا حى يبرى من العيون ضبابى[2]

وبقدر ما للخيال الشعبى من قدرة على التعبير الصادق

---

(1) نظم هذه الابيات أبو بكر السايح من بلدة الزيغن محافظة سبها ، ورد ذكر واحة الزيغن فى كتاب معجم البلدان الليبية للاستاذ الطاهر الزاوى .
(2) ضبابى ـ الغشاوة على العينين .

والدفاع عن البيئة والقيم المتبعة بقدر ما هو قادر أيضا على التهويل والمبالغة ، كما لا تخلو كثير من القصص الشعبية والأمثال من الخيوط الغريبة التى وضعتها يد دخيلة عن البيئة لعلمها بما للفن الشعبى من سرعة الانتشار ، وقد خدم الاستعمار أغراضه بمحاولة طمس معالم المعرفة الشعبية التى لمس فى وجودها تغذية للروح الوطنية وحاول بواسطة أعوانه خلق معارف تحل محل المعارف النابعة من الجماهير . ولا يفوتنا أن نشير الى أنه كانت هناك جاليات يهودية فى كثير من اقطار الوطن العربى ومن بينهم من يقرض الشعر ، فهل يعجز فى صياغة مثل شعبى أو نسج حكاية شعبية كمعول للهدم ينفث بواسطتها السموم الصهيونية والاستعمارية ، فعند هجرة الجالية اليهودية من مدينة طرابلس كانت مجموعاتهم تردد كلمات من الشعر تحثهم على الاتجاه الى أرض الميعاد المرسومة فى مخططاتهم الرهيبة وهى أرض فلسطين العربية فى صفحات التاريخ والحقيقة . وقد كان هؤلاء

اليهود أثناء اقامتهم سنين عديدة يخرجون الى مقابر موتاهم يبكونهم فى الظاهر ويبكون دولتهم التى يرنون الى بنائها فى حقيقة أمرهم وفى ضمائرهم . وعند قرب سفرهم الى اسرائيل - سنة 1948 - باتوا يرددون هذه الأبيات :

توتا كان جاك البابور

علاش قاعد فى الحاره الدور[1]

فاليهود بيئة ثقافية مغلقة ، ولكن ليس معنى انغلاقهم انهم لا يقبلون الثقافات الأخرى . خاصة ما يحقق لهم

---

(1) ورد ذكر الجاليات اليهودية فى كتاب معجم البلدان الليبية ص 101 لمؤلفه الاستاذ الطاهر الزاوى يقول فى تعريفه لكلمة الحارة (الحارة قرية لمدينة الزاوية يسكنها اليهود وكلمة حارة تطلق على المحلة التى تدانت منازلها . واليهود كانوا أقلية لذلك تراهم يبنون بيوتهم متلاصقة بعضها ببعض) . الكاتب كان يؤرخ لفترة تاريخية قد مضت . أما الآن فلا جاليات يهودية فى ليبيا بعد قيام الثورة . وقد فات الكاتب ملاحظة ان تدانى بيوت اليهود ليس السر فيه انهم أقلية بل انهم كانوا يخشون كشف حقيقتهم وسوء نواياهم . كما اشرنا فى هذا الكتاب .

مكسبـا ماديا أو سياسيا . انهـم بيئـة مغلقـــة فيما يخص ثقافتهم الخاصة بهم . انهم يوصدون الأبواب أمـام من يريد الاطلاع على هذه الثقافة اليهودية البحته . واعنى أنه من الصعب التعـرف على دقائـق الأشياء فيما تحملـه آدابهم التى تتضمـن عاداتهـم وتقاليدهـم وتصوراتهـم ومعتقداتهـم . ونحـن فى كثـير من الأحيان نعلل ذلك ونرجعه لتعصبهم الدينى . والحقيقة هى أنهم قد اتخذوا من هذا التعصـب شكلا وستـارا . أمـا الحقيقـة التـى اخفوها فهى أنهم يخشون أن تتسرب أسرارهم ونواياهم الشريرة تجاه كل الأجناس البشرية لو تمكن الدارسون من الحصول على اصول ونصوص ثقافتهـم وألموا بهـا الالمام الكامل ، جوهرها وأصلها وجزئياتها وطرحت على بساط البحث ودار حولها الجدل ستكشف ما تنطوى عليه ضمائر الصهاينة من احقاد وأمراض اجتماعية ونفسية وعقائـدية تدل على معدنهم من خلال النقـاش والدراسـة العلمية لهـا ، فهـم يسـدون أبـواب ثقافتهـم عن الاخـرين

ويستوعبون من الثقافات الأخرى بالقدر الذى يرون فيه ما يعود بالفائدة على بنى قومهم .

فقد صدر لمجموعة الجاليات اليهودية التى نزحت من البلاد العربية الى اسرائيل كتاب (تناول الحكايات الشعبية) ، وكان تبويبه على حسب البلدان التى كانت توجد بها طوائفهم مع مجموعة من خرافات بعض المقيمين أصلا فى اسرائيل . وقد ترجم الكتاب من العبرية الى الانجليزية .

ويجول فى خاطرى الآن سؤال هو : هل هذه الحكايات الشعبية عربية أصلا ونسبوها اليهم مثلما فعلوا بكثير من التراث العربى الفلسطينى بافتراءاتهم وادعاءاتهم لملكيته حتى يخدعوا الرأى العام بأن لهم جذورهم التاريخية والحضارية فى فلسطين ويبعدون عن أنفسهم نظرية لا أدب بلا وطن - أم هى مجموعة من خرافاتهم اليهودية الانطوائية الفردية التوسعية

الاستحـواذية التـى لا تحمـل الا ما يدل على حقيقتهـم ونفسياتهم ؟

فاليهود حتى عندما يتكيفون مع البيئات التـى كانـوا مقيمين بها ، لا يتعدى استعدادهم لتقبـل ثقافـات هذه البيئات الا بقدر ما يهدفون للاستفادة من هذه الثقافات بحيث يجعلون من بعضها معولا للهدم بين حامـل هذه الثقافة التى يظهرون التأثر بها . ويعكفون على تهويد ما يلمسون الاستفادة منه .

والمثل الشعبى القائل : لا تلحق العربـى دولـة كان المسحـة والجدولـة(1) ، والمثـل القائـل : اخطـى راسى وقصى ، والمثل القائل : اسرح نعايجى وبات دجايجى : أى تغادر بيتك ساعة متأخرة من النهار وتأوى اليه مبكرا

---

(1) ورد ذكر هذه الأمثال ، فى كتاب الاستاذ على مصطفى المصراتى وقد طالب باسقاطها من حياة الشعب وحذف وظيفتها من سلوكه .

كما تفعل الدواجن ـ ولا تهتم بمجريات الأمور حولك .

فهـذه الأمثـال ومـا يقابلهـا من الحـكايات الشـعبية والكلمات الزجلية وغيرها من نصـوص الأدب المتشائـم المدمر الداعى للاتكالية والسلبية والانفصالية ما هى الا سموم دسها اليهود والاستعمار وأعوانـه فى المكان الـذى عرفوا سرعة تسربها منه وانتشارها بيننا .

ولم تقتصر محاولة التشوية المقصودة لهذا التراث على حبك الأشياء الهدامة ، بل ان اليهود حاولوا تغيير كثير من المفاهيم التى تحملها بعض ألوان المعرفة الشعبية الأصيلة لكى يحدوا من مفعولها وتبهت صورتها فى نظر الشعب .

فهذه قصيدة شعبية لشاعر ذائع الصيت . ولكن ماذا يعرف الناس عندنا عن قصيدته المشهورة ؟

تركنـــاه وطــن العــز روخنـــا منه
بـــلا مال لا هو فرض لا هو سنة

كل ما نعرفة عن قصيدة الشاعر أنه هجر وطنه نتيجة لضائقة مادية ، وبعد عملية المسح واللقاءات التى قمت بها مع مجموعة من الرواة في بلدته التي ضمت ضريحه استطعت جمع القصيدة من ثلاثة من الرواة ، وكان فيما رواه أحد هؤلاء الحفاظ أن القصيدة يبدو بأنها قد قيلت من أجل غرض سياسى ، كانت خنجرا يطعن بها الشاعر العدو الجاثم على صدر الأمة ، وحاول العدو تحويل هذا الخنجر الى قلب الشعب نفسه بأن حور أعوانه مضمون القصيدة بحيث أصبح موضوعها ان الشاعر قد هجر الوطن نتيجة لضائقة مادية حلت به ، وبذلك يقتدى به غيره من عامة أبناء الوطن ويصبح الهروب من الوطن فضيلة وليست نقيصة يعاقب عليها الانسان أو تقلل من قيمته ومكانته بين القوم . وبذاك يجد الاستعمار راحة من كل من تلتهب فى قلبه شرارة الثورة .

وهذا تدوين لكلمات القصيدة :

تركناه وطن العز نمشو منه[1] بلا مال

لا هو فرض لا هو سنة

***

تــرك البيــــــــــــــن

احنــا وطنــا ما هو علينــا هين

وان لاهمــوك الــدين ماتدين

راهــو عقــاب الــدين يبقــى غنه

***

تـــرك البايـــــــــــن

احنــا وطنــا ما هو علينــا هاين

وان لهمــوك الــدين ما تداين

والــدين شاماتــى عقابــه غنه

---

(1) الرواه : محمد القرميدى عمره 40 سنة وأبو بكر السايح عمـره 40 سنـة والسنوسى السايح وعمره 85 سنة وجميعهـم من بلـدة الزيغـن . محافظـة سبها .

وعلت محاريث الجمال دفاين
والقل وكسه للرجال انظنه

* * *

تركناه للهمازة
تركناه وطن المرمده والعازه
لين تقطعوا رقراق دار نغازه
بقرب لا هم شلبطة لا شنه

* * *

تركناه للفلاحة
تركناه للى طالبين الراحة
قولو لبو سالف كما الدرجاحة
بلا مال حتى اريادنه عافنه

* * *

ترك اخلوتك
قعادك مع اللى مكرهين يعوقك

حديثــك اليا ما حصلــه صندوقك
عليه لا تلــوم النــاس بعــد تشنه

***

تركنــاه تــرك الفكــــــــــرة
نمشي الضحــى والقايلــة والبكرة
وكم طــير جلاه الجــدب من وكره
امــا الحــى حدات الزمــان يجنه

***

تركنــاه للحتحاتـــــــــــه
تركنــاه للى يعرفــو معناته
وصغــر الــكلام يورث اكباراته
وكثــرة الــكلام يوحلك فى غنه

***

تركناه ترك سياســــــــــة
ولا هو جفــاء فى وطنــا ولا ناسه

خايفــين من هول الزمــان وباسه

ولايام في دولاتهــم داسنه

أو سامع حجــايج موجعــه من ناسه

مــا ينســكن حيط البــلاد بهنه

***

حيط البلاد الـــــــــــــداري

على ما طرالى هايظــات ابحارى

وكميان سر الموجعــة فرارى

صبــغ كيف ما يصبــغ الحنة

***

صبــغ كيف ما يصبــغ مكرر غزله

حشد حشد طشم الخلق جنب ٱلنزلة

وحمــل السمينــه ما تقلــه هزله

وليه ما يدنوهــا ولا تدنا

***

ليه ما يدنوهـا ولا تمشيله
اسمع كلامى والتهى بقيله
نقلنا وراء ثقل الحمول عديله
واللى جراء بالموجعة دغشنه

* * *

كل من غرس من غصن يجنى كيفه
سواء كيف حلت ثمرة والصيفة
مليح ما يبدل طيبه بالجيفة
ولا كلب بدل جيفته بالصنة

* * *

جيفته وسلمهـا
دون ما يقدقد عظمها ولحمها
واللى بداء غنه ولا تممها
اليا تمها يرقد منام مهنه

وهذه كلمات من القصائد الزجلية القديمة ، وكثيرا ما

استشهد الشعراء فى قصائدهم بسيدى قنانة الشاعر الكبير . فهذا شاعر يقول فى قصيدته[1] التى لا تخلو من الهجاء الجارح والنصيحة القيمة كأنه رأى أن السبب الذى ترك بلاده ضحية للاستعمار هو ضعف الوازع الدينى .

اقفوا للصلاة بخلوصى حسن النية
والصدق كيفه مهناك عطيه

***

صدق الفقير لربه
وبيت الكرم لازم عليك تحبه
وخاطر المغرب كان جالك وصيه
تلاقاه فيسع راك تكره جيه

***

---

(1) الشاعر هو الحاج محمد القذافى .

قاعدين غير جهامـــــــــــــــــــة
ولا عندنـا من الحـــق غـــير اوهامه
ونادمـــين كان تنقـــع الحيى ندامه
على ما جراء من الفجــر والغيبة
ومـــن قلـــة الصـــلاة فى الاقامة
ومـن قلـــت النوضـــه مع الفجرية

***

شيب الوطاء بالرملـــــــــــــــــة
وشيب الدراهم من نقـــاص العملة
واللى ما يقـول الحـق عافـــن عمله
ارجـــاه يرجـــع كان فيه رجية
خراب الـــدول خرب جميع الجملة
القضية عتالـــة واشيوخ رعية

***

عمـــره بنـــادم مارتبـــط بكراعة
يحـــرك ايديه وينطلـــق فى ساعة

والخبــو ما تركب عليه ارفاعه
والفارغــة ما ترادع المليانة
وشـــج اللجــام يغيض المطاعة
وخض الشراب يعيف العطشانة
مليح الأصل ما يرضى يقول صناعة
يعلــو عليه القافــين عفانة

سلوكنا والتاريخ في ادبنا الشعبى

ما هى ثقافة الشعب وما هى أبعادها ومفهومها ورسالتها ؟

أسئلة كثيرة حائرة تحتاج الى اجابات صريحة وعاجلة بالنسبة للاقطار العربية التى لا زالت بداية اهتمامها بهذه المعارف عامة من درجة الصفر اذا ما أرادت هذه الأقطار العربية نفض الغبار عن هذا الرصيد الذهبى من المعرفة الشعبية التى خلفته لها أجيالها السالفة وتوارثته الجماعات الحاضرة الى أن تنقله الى أجيالنا اللاحقة ، وما يقال لهذه الشعوب والجماعات بهذا الشأن لا تسعه صفحات مسلسلة من الكتب لو أراد أساتذة الأدب

الشعبى عندنا ابداء الرأى حول الطرق المؤدية الى اجدى السبل للوصول الى ذخائر المعرفة الشعبية النابعة من المنبع الحقيقى من حيث فروعها وتفريعاتها وجمعها وبحثها ودراستها والكشف على ما يفيّد منها وما يجب حذفه ، فقد يجذب البعض لمعان المظهر الخارجى البراق فى بعض من ألوان الثقافة ، بينما لا يجد المتمعن فيما تنطوى عليه هذه الصورة التى لفتت نظره أو سمعه أية أبعاد أو عمق أو اصالة . ان هذا الموضوع قد يستحق الوقوف أمامه طويلا ، فالشعر الذى يمتدح الاشخاص بمجرد مسك أحدهم بمقود الحكم حتى ولو كان جائرا على الرعية ومتواطئا مع الاستعمار ورعديدا أمام الأعداء وكل هم المادح أن تجد كلماته الملونة باصباغ التزلف مكانا لها فى صدر صحيفة أو كتاب أو تشغل بها الاذاعة بعض دقائق ملئا للفراغ ، هذا اللون من الشعر الشعبى البعيد عن ثقافة الشعب والمحسوب عليها يجب ألا يأخذ لحظة من وقت المهتمين الحقيقيين بمعارف

الشعر الأصيلة ، هذا ان لم يستطيعوا مجاهرة خالقـى هذا الشعـر ومـروجيه باسفافهـم وفقرهـم الفـكرى والأدبى ، فالانتاج الذى ليس له عمق وأبعاد ولا يهدف لمصلحة عامة لا يستحق قطرة من مداد ولا لحظـة من وقت العباد ، فلو قام رواد الثقافة الحقة التى تخاطـب الوجدان الشعبى والتـى تستمـد دوام وجودهـا منـه ، تعطيه وتأخذ منه كالشجرة الطيبة الثمار تغذى فروعها من الجذع وتقيها تلك الفروع بظلالها من حر الشمس ووطيس البـرد ، فلـو قام هؤلاء الـرواد الأوائـل من مبدعـى هذه الثقافـة لأقسـم كل منهـم بربابتـه ونـايه ومزماره ودفه قائلا أن بعض ما تسمعونـه وتقرأونـه لا ينتمـى الى الأدب الشعبـى بأية صلـة ولا تربـط بينهما قرابة ، فالأدب الشعبى هو تلك النفائس التى لم يزدها مرور الزمـن الا قيمـة ومكانـة كالتحف النـادرة . . كالذهب يأخذ من التراب ولا يأخذ منه التراب .

أما بعض هذه التوافه فانها قد تزركش بثوب العصر

وقد تلونها يد اللحظة العابرة ، ولكن سرعان ما يتبدد لمعانها كلما مرت الأيام ، وكلما قرب منها الباحث تتضح له حقيقتها ، كما تتضح الرؤيا للقادم نحـو السراب . وليس هناك أعمق أثرا ولا أصدق تعبيرا من الشعر الذى يرتبط بالأرض ويدافع عنها فى أوان محنتها ويجهر برأيه ويرفع صوته مطالبا بمحق الأعداء .

ثلاثة أبيات من الشعر توازى محاضرة وتمتاز عنها فى أن هذه الأبيات تنتشر بـين الجمـوع انتشـار النـار فى الهشيم ، فهذا شاعر من ليبيا فى فترة الاحتلا ل الايطالى الغاشم الذى كان آخر ما وصل اليه من إذلال للشعب الليبى هو أمر لكل من يجد كلبا بدون رباط بأن يؤتى به ماسكا للكلب فى رباطه مع تحميله غرامة سبع فرنكات ايطالية وقتل الكلب . يقول هذا الشاعر مخاطبا الشعب محركا فيه النخوة العربية داعيا للثورة على الاستعباد بهذه الأبيات الساحرة :

سبـع فرنـك وخيط وكلبه
ماهـــن هلبـــــــــــه
فى اللى عاطى كار الغلبه

هذه الكلمات وغيرها التى رسخت فى ذهن المواطن العربى فى ليبيا كان الفضل فى تقبل المتلقى لها قربها من النفـوس والوجـدان ، لأنهـا تهـدف الى حرية الوطـن والاستشهاد فى سبيله ، وشعر الجهاد وملاحم البطولـة لدى الشعوب المجاهدة يظل دائما بين شفاه الرواة لأن صور ومشاهد أحداثه ماثلـة أمامهـم ، حتـى وان مر عليها أمد من الزمن ، فهم قد يرونها فى مكان قد وقعت به معركة حربية نالوا فيها شرف النضال أو كانت تحكيها ملاحمهـم البطـولية وتبـين ما دار بـين أجدادهـم والمعتدين . وكثيرا ما تسمع الناس يقولون أنهم رأوا فى الليل نورا يشع فى المكان الذى سقط به الشهداء دفاعا عن الأرض .

وكل ما مررنا بذكر شعر الجهاد تلألأت أمامنا صورا

أخرى كثيرة معبرة عن اصالة الانسان العربى فى ليبيا : كرمه ووطنيته وفروسيته . فقد ارتبط ذكر الجهاد بالصمود والصبر والعفو عند المقدرة ، كما ارتبط اسم الجياد بالكرم والجاد واقترن اسمها بالرجولة والشهامة ، حتى تسمعهم يقولون لك فى فخر واعتزاز (اجواد راكبين الخيل) ، وعلاقة الانسان العربى فى ليبيا بالجياد قد يظن البعض بأنها حديثة العهد قد لا تتعدى كفاحنا ضد الايطاليين عندما كان يمتطيها المجاهدون ، وقد لا تتعدى أنها أحد وسائل التنقل بالصحراء المترامية الأطراف ، أو هى وسيلة من وسائل التسلية ونوعا من الرياضة ، وتحضرنى الآن اجابة واحدة عن هذه التساؤلات والاجابة من كتاب (نصوص ليبية) للاستاذ الدكتور على فهمى خشيم .

يقول الباحث فى سياق حديثه عن التاريخ الليبى القديم : مشيرا للآلهة التى قال المصريون بأنهم لا يعرفون أسماءهم فيما عدا « بوسيدون » وهو الذى



عرفوه من الليبيين ، ثم يقول : « والليبيون وحدهم دون سائر الأمم هم الذين وجد بينهم اسم « بوسيدون » وكانوا دائما يعظمون هذا الاله ، (انظر مصادر الباحث من صفحة 31 هامش(1) فقد تعرف عن « بوسيدون » انه اله ، اسطورى ليبى) . وفى مصادر البحث ورد ذكره فى رواية سبعة ضد استيخلاوس تصلى الجوقة أو « بوسيدون » : (أيها الملك ذو الجواد الجامح ، يا من تحكم البحر بصولجان سيف الأسماك أزل عنا مخاوفنا) . « بوسيدون » هذا الذى روته الأساطير القديمة يظهر من البحر فوق حصان يصلى له الليبيون القدامى ويختفى .

فعلاقتنا مع الجياد اذن علاقة قديمة قدم الحياة نفسها ولا زالت للجياد فى البادية مكانة عظيمة عزيزة على قلوب الشعب امتزجت مع عاداتهم ومعتقداتهم ، وهم يميزون الجواد الأصيل بعلامات تسمى « البراريم » يتخذون لها اسماء « السلطانة » ، « العروسة » ويصل تعدادها الى

24 واحدة وتمثل فى اعتقادهم مقياس الخير والشر وغير ذلك من الأمـور العالقـة باذهانهـم والراسخـة فى تصوراتهم ، حتى يقال لك وانت بصدد حديث شفقة عن بائس أرهقه الفقر أو انسان أثـرى بعـد كفـاف : نواص وعتب وبعض من الذرية أى هذا الفقير المعدم حظه تعيس : لا طفل مقدمـه خـير ولا جواد ناصيتـه تفاؤل ولا بيت عتبته مباركة . وهذه لمحة من شعر الجياد فى بلادى :

اللي بـيركب كانـه عراف
ياخـذ لوصـاف
يواريه الطالب[1] فى القاف

اللى بـيركب يختـار حصان
أحمـر يدكـان
معند والذرعان امتان

---

(1) الطالب : الشاعر .

وفيه براريم الحيوان
معيـــز وضـــــــــــان
سريع عز الخاطر[1] لظاف

مشـــكور نهـــار الميدان
ولــــد فالـــــــــــــح
ما هو جغداف

وفيده دقـــره من الطليان
سقيمـــه ما تعـــرفش اخلاف

***

اللى بـــيركب يشرى عكروم
اللـــــى مقيـــــــــــــوم
ايكيد الشريا فى السوم

---

(1) الخاطر : الظيف .

لحمـــر لقبـــح بو خرطوم
يـــزن يـــــــــــــــزوم
لي تاق مع قرن الحاف

يخطـــم كيف الطـــير يحوم
يجلـــى الشـــــــــــوم
يقمـــر والحجلات انضاف
وسيده شاب على أول صوم
يقـــش القـــــــــــوم
ايدقدقهـــا تغـــدى كشلاف

***

اللى بـــيركب يشرى عبرود
سقيـــم العـــــــــــود
وثـــوب حمـــر وســـوالف سود
عليه سرج مكلف وخدود
وخمـــس بـــــــــــدود
جـــدد نوبـــه ماهنش رهاف

واركاب مصفـح محرود

بسـوم قعـود

ومـكسى بالجوهـر لصاف

أحمـر يشـاف

كيف نواوير الزفزاف

* * *

اللى بـيركب يشرى غندور

اللـى مشكـور

مرتـع فى نجعـه مشهور

وحـارك عالى كيف السور

ورقبـة فيه تقـول حجاف

وسياله ضيق محجـور

ومنقاره كيف المخطـاف

اللى مالـه واتـى مصرور

يساوم فيه بعشر الاف

اللى بـــيركب يشرى ولوال
عليــــــــــــــــــــه دلال
غثيث ليا هزه ينهال
كيف خمس والا ما زال
يزهـــى البـــــــــــال
معـــاه الخيل اكل تفتاف
ولا عنـــده فى النجـــع أمثال
معاه قلال ركوبـة من يكرم لضياف
اللى بـــيركب يشرى قنزوع
طويـــــل البــــــــــــــوع
يخطـــم كيف الطـــير يسوع
وقينـــه مسقـــم مرصوع
ما هو مفصـــــــــــــــوع
حوافر مكنوزات أظـــــــــــراف
منـــين يقفـــز كيف المخلوع
خفيـــف ســــــــــــروع
يقمر من وسط المنداف

اللى بـيركب يشرى نقمار
قيـون قصـــــــــــار
وصــدره عرضــه ثلــث أشبار
ليا ناض البــارود وفار
يطيــر طيــــــــــــار
برنــى قاصــد فرق احبار
مختاره مولاه اخيـــــــار
متــاع قحـــــــــــار
يزيد مع طول المشوار
هالكا بسم عمــره ما صار
زهـــا لنظـــــــــــار
ويش وصف فيه الوصاف
يكتبله مولاه اسطـــــــار
حكــم لســـــــــــوار
على عين المحسد لا شاف

* * *

اللى بـيركب يشرى مدوب
رطيـــب الثـــــــــــــوب
عكاف مكرع فى العرقوب
وحارك متقاعد منصـــــــوب
عريـــض ادفــــــــاف
وعنقه متعلى يهــــــــــداف
وكاســـم فى القالــب مصبوب
أحمــــر يغضــــــــــاف
عليـــه عكـــــــــاف
تقـــول بردى فى ظل الكاف
الياميتخ كيف المجــــــدوب
ايديـــه خفــــــــــاف
رقيـــق اطـــــــــراف
غــزال يقمــر فى لطراف
عليه سرج مكلف مرتوب
ذهـــب لصــــــــاف

اصفـــر يشـــــــــــــاف

كيف نواوير الزفـــــــــــــزاف

وسيده متريس دعبـــــــــــوب

نهـــار النـــــــــــــــــوب

وفانـــك ما يعــرفش يخاف

تقــول وادى ضيق مغصوب

عليـــه شبــــــــــــــوب

قـــوى يخلى فى لرض أجراف

فالح والمركوب دعـــــــــوب

يجـــى مهلـــــــــــــوب

يقســـم فى الريمـــوز انصاف

لا يصـــاوب لا يعـــرف صوب

ولا مغلـــــــــــــــــوب

لـــين يقطـــع رأس السياف

***

اللى بـيركب يختـار حموق

كمـا المخفـــــــوق

ما يحملش الصـوت قلوق

واخـذ حق منـاه علوق

ما هو محقـــــــوق

متقـوى والخيل ضعاف

يجـى ينتـر فى رأسـه فوق

يشـق الســـــوق

يهـابش فى الطـير المفهاف

اللى بـيركب كأنـه عراف

وهذه قصيدة لنفس الشاعر[1] يبين فيها العلامات التى يتخذونها كمقياس لمقدار الخير والشر فى ناصيه الجواد :

---

(1) شاعر هذه القصيدة (على عمار الككلى) من مختارية المعايفة ـ محلة بو ماضى محافظة غريان .

حصان سلطنى وامه فرس معلومه
وباباه عنده حس عالى سومه

* * *

سيده شروه بميه
وامه المشكورة خذوها زيه
وهو انشرا بعشرين فوق الميه
عليه القبائل عاملات خصومه
سيده ولد ضبضوب مش حويه
مش بو جراده من طيور الحومه
سيده مقيد كان تنشد فيه
من كل جيهة تامات لزومه

* * *

ازرق معلى دفه
صمنطح على المنقار كيف الحفه
منظر وعرض وطول
صاحب خفه

مقـــدود ما عنـــداش طول كرومه
عنقـــه ليا شبـــه الفـــوق وجفه
تقول صور جابو له صطا من رومه
صلـــوا على اللى على الحـــرام تعافه
عليه الصلاة عدد الفضا ونجومه

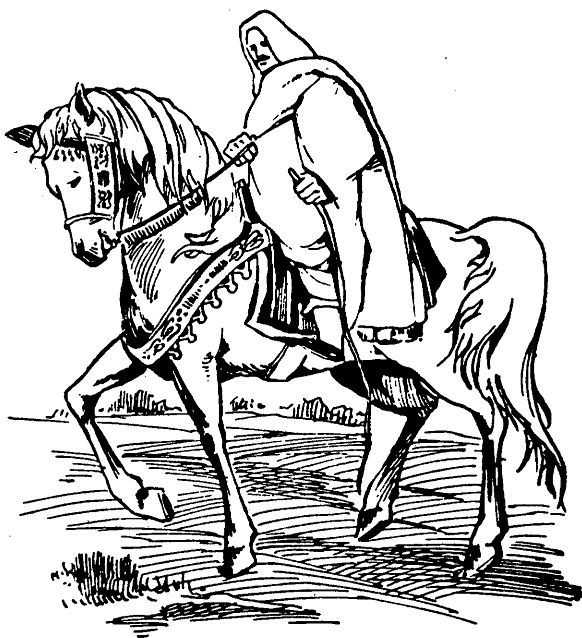
* * *

ميصــــــل مــرتــع جـــــارى

الله وحــد كيف النســوم الوارى
كفلـه وظهـره ورقبتـه زى الصارى
ووذان لاشبـــن تقـــول بلومه
المعنـــى قلـــم يسامعـــين أخبارى
احنا عندنا كلمة قلم مفهومة

* * *

فايز فى عصره تاوه
كان سافــر المخطــر يقابـــل ضوه



المعيان رب يحفظـه من سوه
البحـر المدلهس ما نقـدا نعومه

***

سيده نهارت جيتـــــــه
باركتلـه ساعـة حصانـه ربته
البـراريم وهلـه والهنـا خليطه
بـاين نهـار الفـرح فى خرطومه
خطفتـه مع رياقتـه شديته
لقيت الـوزيرة عاقبـة محكومة
جيت للحـزام بليمنـه حليته
لقيت العـروس مكمكمـة مغمومة

***

سبل رقبته وشبحتـــــــه
السر لجميع اللى نشـد وضحته
وجيت لسـبيب المعرفـة كشحته
الثنتـين ما فيهنش وحـده شومه

هنــاك زوز يالــو ريتهــم نبهته
يبيع طول والا يدرجحــه بقيدومه
والله ما يكسابهــن فرحته
موجــود قاعــد باينــات سهومه

* * *

اطناش الملاح حقيقــــــــــة
اللى فيه من يبــى يجــى فى طريقه
سومــه وعمــره وزوز فى مواريقه
وهــذى أوصــاف الخيل فى الملزومة
وستــه حذاهــم ناصبــات الريقة
مــن جذر وذنــه لا بياض خشومه

* * *

على الككلى وراكــــــــــم
يا راكبــين الخيل فهمناكم
وصلوا على الهادى الرسـول هداكم
خــير لنبيا الطاهــر وبــو فطومه



وهذه أيضا صورة أخرى من الصور التى أدى فيها الأدب الشعبى غرض المعتقد . ففى الأبيات التى قالها الشاعر « البراريم » وأهله والهنا خليطه اتضحت لنا صورة المعتقد فى الادب الشعبى والمتمثلة فى ناصية الجواد والتى تبين من خلالها الفرح والامل والخير والسعادة حسب التصور المتبع عندهم فى مثل هذه الحالات .

كما أننا نجد الأدب الشعبى مصاحبا لطريقة استجلاء الغيب للاطمئنان على الغايب والشفاء من المرض والاطلاع على حسن الحض من عدمه وهو ما يسمى فى بعض الأقطار العربية بضاربة الودع والتى تسمى عندنا بالتقازة . والتى تخبر القادم لها مستفسرا عن بخته أو قريبا فى سفر بأن تبتدى بيدها اليمنى تمرر أصابعها وهى منشدة :

يا تقازة النبى سألتك بالنبى
وسيدنا على ما تكذبى
خبرينى عن فلان امتى يجى

وحسب الموضوع تسخر كلمات الأدب الشعبى .

ولو نظرنا فى مخطوطة هذه المعارف الراسخة والمرسومة فى خيال وضمير الشعب لوجدنا أيضا الى جانب ما ذكره أكثر من باحث وكاتب فى ان الادب الشعبى والمأثورات الشعبية عامة ، سجلا حافلا بما مر على الشعب من أحداث تاريخية وتغير اجتماعى واقتصادى وسياسى ، لعرفنا أن هذا السجل الخالد والمخطوطة المرسومة فى ضمير ووجدان الشعب لم تغفل الناحية الجمالية والتنظيمية أيضا .

وليس محل حديثنا هنا ، وما نقصده بالفن المعمارى وأدوات ولوحات الجمال الشعبى فى الرسم والنحت والحلى والملبس ، انما نقصد كيف ينظم هؤلاء البدو الرحل والمستقرون فى بقعة واحدة على حد سواء تنسيق بيوتهم . فالخطاط الذى رسم لهم الصورة التى اقروها لم يكن غريبا عليهم وكأنه اراد لرسمه لخريطتخ الخلود والبقاء فضمها الى مجال المعتقدات وتعارفوا عليه من بين

عاداتهم . فأنت ترى مجموعة إلبيوت المتناسقة خطا واحدا مستقيما لا اعوجاج فيه .

وسجل الاعتقاد الذى اشرنا اليه فى هذا المجال الخاص بتناسق تشييد مساكنهم ، فهم اذا كان أحدا منهم قد تقدم فى تشييد بيته وثبت العيدان الماسكة له فى الأرض بمسافة قليلة قد لا يؤاخذ عليها القانون المشرع لتنظيم المدن فى العصر الحديث ، لكن بين هذه الجماعات ، فلا يتم السكوت عن ذلك فعندما لم يراع أحدهم عرفهم المتبع يلاحظ بعض مجموعة جيرانه عدم اهتمامه بنظامهم ويلزمونه بالتناسق المطلوب ويخاطبونه بدستور الجماعة الراسخ فى اعتقادهم وهو ان جاره الدانى اليه يقول له « دقيت فينا اطنابك » وهذه ناحية معروفة يخشونها جميعا لأن جاره هذا سوف يصاب بعد ذلك بمكروه فى ماله أو عياله حسب اعتقادهم ، كذلك لا يتركون المرأة تقطع الحطب من أمام البيوت لأن فى ذلك شيئا من التشاؤم .

كما يبرزون صور الاعتزاز بالأرض فى كلمات تقول « الطير يقول وكرى وكرى . ولـو على عود يابس » أى وطنى ولو قاحل مجدب و « يا دار بوى ما عليك غنوه » .

ولا اريد التمادى فى تدوين هذه الأغـراض التـى يتناولها الأدب الشعبى بالمثل الشعبى والحـكم فى جمـل قصيرة ، ذلك لتغطية هذا المجال من قبل بعض الاخوة الكتـاب والباحثـين مثـل الاساتـذة على مصطفـى المصراتى(1) ، وعبـد السـلام قادر بوه(2) ، وأحمـد النويرى(3) ، ومحمد سعيد القشاط(4) وغيرهم . فالاعتناء بالمأثورات الشعبية وعملية الدراسـة والبحـث والتحليل معنـاه الاهتمام بانفسنـا وبطابعنـا ومقوماتنـا العـربية الأصيلة .

---

(1) كتاب : فنون الشعب . وكتاب الشعب الليبى من خلال امثاله الشعبية .
(2) كتاب « نصوص الأمثال الشعبية » لعبد السلام قادر بوه .
(3) كتاب « الخيل والابل » فى الأدب الشعبى .
(4) كتاب « الأدب الشعبى فى ليبيا » . وصدى الجهـاد فى الأدب الشعبـى . والفروسية فى ليبيا .

فنحن عندما ننبه للاهتمام بهذا التراث والمأثورات كأننا نحذر أيضا ان لا يجرنا تيار اللصيف الكاذب الذى تقذف به مطابع أوربا الى أسواقنا العربية ويتسرب بعض فكره المسموم وأدبه الممسوخ الى عقول أجيالنا العربية الحاضرة والمقبلة ، وليست هذه دعـوة « فولكلـورية » ضيقـة كما يدعى البعض بان الفولكلور نواة للاقليمية الضيقة وعودة للخلف حيث التخلف وعـدم القـدرة على تقبـل ثقافـة العصر وعلومه ، بل نحن نرحب ونفتح صدورنا للادب الانسانى الرفيع ونتمنى مخلصين لو وجد بين ايدينا مزيدا من الثقافة الشعبية الحقة التى تملكها هذه الشعوب وتمثل تفكير وسلوك انسانها ، ولكن ليس معنى ذلك أن نبتعد بانفسنا عن أنفسنا . أى نضل طريق نبعنا الصافى القادر على اعطائنا ما تتلهف اليه نفوسنـا . فأوروبـا أول من استيقظ واهتم بالفولكلور فى أول الأمر بحثا عن قوميات شعوبها وأخيرا لدراسته بعد أن درسوا وتدارسوا اصول العلم الذى يبحث فى هذه المواد ، ولا نريد أن نناقض

تاريخ بدء الاهتمام بجمعه ودراسته لدى هذه الـدول وغيرها من الشعوب التى عرفت ماله من تأثير منذ مئات السنين ، فهم كما يقـول بعض الباحثـين فى وطننا العربى ، اتجهت أوربا لدراسة عادات وتقاليد شعوبها ثم شعوب القارة الافريقية وكانت هذه الدراسة عاملا مساعدا لهم فى احتلال الكثير من بلادنا العربية والافريقية . بل أقول أن تجربة جمهورية مصر العربية فى تكوينها لمركز الفنون الشعبية بالقاهرة منذ انبلاج فجر ثورتها الرائدة يوم ان دوى صوت جمال عبد الناصر يبشر بالحرية الحقة والوحدة لكل أبناء الوطن العربى الذين تجمع أواصر الاخوة بينهم واضحة فى دينهم وتاريخهم وثقافتهم الشعبية عامة ، وأصبح هذا المركز يسهم فى الحث على الاهتمام بآدابنا الشعبية العربية .

ولعلنا لم نفقد الامل فى أن نرى بوادر الاهتمام الجاد من قبل مراكز جمع التراث الشعبى ووسائل الاعلام فى وطننا العربى قد سلكت المسلك العلمى حتى نرى

الالتفاتة للثقافة الشعبية قد أخذت طريقها ووجدت من الجهد والحماس ما ينبىء بمولد حركة نشطة لتسجيل هذا التراث ولدراسته دراسة علمية وجمع علمى يواكب ما أخذت تنهجه أمم متقدمة فى هذا المجال .

كذلك فأن الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ورئاسة اتحاد الاذاعات العربية يا حبذا لو اسهم كل منهما فى هذه الدعوى للاهتمام وكل منهما يملك من وسائل المساهمة الايجابية ، فالاذاعات يمكن أن تلعب دورها فى تقديم ألوان من الفنون الشعبية بعد دمج ومقارنة وتحليل المواد المسجلة من الوطن العربى لما لها من أوجه التشابه والاصالة ، فثقافتنا العربية قريبة من بعضها ، الآلام والآمال مشتركة متصلة والطباع والأرض والمناخ لا تختلف فى جناحيها الايمن عن الايسر .

فاللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية . . ما هو العائق من أن تتبنى الحث على الاهتمام بهذا الجانب من

جوانب المعرفة الزاخرة لا بالتوصية ـ مجرد التوصية ـ بل باتخاذ قرارات لها صيغة التنفيذ . وحتى نستطيع العودة الى النبع والنهل من معين التراث الشعبى فيجب علينا :

1 ـ ان تتبنى هذه الحكومات الاعتناء بجمع التراث والمأثورات الشعبية فى الدول العربية وأن تنفض عنها غبار النسيان وان توجه اليها أنظار الكتاب والفنانين والمبدعين بان يستلهم كل واحد منهم ابداعاته وما سيعبر عنه من تراث الشعب .

2 ـ ان تشجع على التخصص فى هذا المجال بايفادها للمبعوثين الذين تتوافر فيهم الرغبة الحقيقية للتخصص فى دراسة وجمع « الفولكلور » فى بعثات دراسية لفترات كافية للتحصيل العلمى فى جامعات ومعاهد خاصة بهذه الدراسات .

3 ـ ان يكون هناك حافزا للاهتمام بالفولكلور من حيث القيام بالبحث العلمى الجاد وذلك عن طريق تقديم



جوائز تشجيعية للباحثين فى هذا المجال ، وعن طريق النقد الهادف فى هذا النوع من الكتابات وهو النقد الذى يطورها ويدفع أصحابها لكشف اخطائهم أو دفعهم للامام ان كانوا على صواب .

4 ـ ان تحول بين تراثنا وبين العابثين والمشوهين للوجه الحقيقى لهذا التراث وذلك بالحد من سيل الاسطوانات الخليعة والكتابات التى لا تحمل من التراث الشعبى الخالد الا اسمه .

واننى مع القائلين بان هذه الاغانى نابعة من البيئة أيضا . وهى حجة تسند المتاجرين بهذه الأغانى تحت اسم فن الشعب ـ والمدعين بالفن ، والمتشاعرين على حساب اسم الشعب ، ولكنى غير متفق معهم فى أن هذه الأغانى كانت أو لا زالت تؤدى وظيفتها على مستوى الجماعة عامة ، بل هى لون خاص مثلها مثل أدب الشبان الذين ينفردون به فى سن معينة ، « فالعراسة » مثلا يقال فيها نماذج من الأدب الشعبى المصاغ فى قالب لا يجوز أن

يقال في غير هذه المناسبة وبين أولئك الشبان قائلوا أو متقبلوا هذا اللون . والفتيات في ليالى الأفراح نجدهن أيضا يرددون بعض المقطوعات والكلمات التى لا يقبلها العرف في غير مكانها وزمانها ، كذلك في ليبيا وغيرها من أقطار الوطن العربى .

وهذه نماذج قد حظت منا بالتدوين لنتفحصها ونتبين بعد ذلك ما تعطيه من دلالات ، وهذه كلمات من واحة الخارجة بالوادى الجديد بجمهورية مصر العربية ، وتردد في الأفراح . والبيت الأول من الاغنية تؤديه مجموعة من الفتيات والغصن أى « الكوبليه » تنفرد به الفتاة المنشدة :

العسل النحل الله الله

والغرفة تملا صحن الله الله

خلعته بدلة كاكى الله الله

ولبسته بدلة كاكى الله الله

* * *

وخلعتــه بدلــة ازازى الله الله

ولبستــه بدلــة ازازى الله الله

ولقد استمعت الى هذه الكلمات التى سبقت الاشارة اليها فى مدينة القاهـرة بعـد أن سمعتهـا مع بعثـة مركز الفنون الشعبية وسجلت من واحة الخارجة(1) انظر الى أى مدى وصل الفرق بينهما هنا وهناك ، والمدينـة كما قلنـا أكثر حرية وانطلاقا بالنسبة للمرأة ، ولقد حورت المرأة فى المدينة هذه الأغنية الى مخاطبـة الطفـل كرمـز لما وراء الكلمات من معـان قد عرفناها فى انشـاد المنشـدات فى الريف :

يا ست يا أم زكى بيعيط

لبستــه بدلــة كاكى

---

(1) واحة الخارجة بالوادى الجديد بجمهورية مصر العربية قام بتسجيل النص المذكور الاستاذ عبد الملك الخميسى باحث بمركز الفنون . القاهرة .

وخلعتـــه بدلـــة كاكى

وبـــرضـــه بيعيــــــــــــــط

يا ست أم زكى زكى بيعيط

بعد ان القينا نظرة على هذا التدوين على هذه الكلمات بقى أن نعرف أن كلا من البيئتـين التـى سجلـت منهما الكلمات تعتبر بيئـة محافظـة أو بالأحـرى مجتمعـا ريفيا محافظـا ، أليس فى ذلك تنـاقض لما يتصف به طابعهـم وتقاليدهم التى لا يمكن أن يتسلل منها الشك فى صحة نبوع هذه الكلمات من هذه البيئة ، فمـن حيث تركيب الأوزان وبداوة اللفظ لا تدع مجالا للشك على ان منشديها هم مبدعيها ، فكيف اذن يعيش هذا الأدب بين جماعـة ما ، تنكره طباعها وتمنحه طابعها ، طابع البيئة التـى لا تسمح ولا تتقبل ما يخدش الحياء فى سائر أيامها العادية عدا فى لحظات أو ساعات معدودة من الأيام السبعـة فى مناسبات الزفاف التى يتم فيها ترديد ما ذكرنـاه ، وهنـا تكفينا الاشارة فقط .

أما استقصاء الموضوع وأسبابه ومسبباته ، فهذا يحتاج منا الى بحث شامل ومستقل ، وربما يتطلب من المراجع التاريخية للبيئة وما مر بها من تغير اجتماعى وما اثر فيها مع الاستعانة برأى علماء النفس على فرصة اللقاء هذه والتى تجمع بين هؤلاء الفتيات فى ليلة عرس ما ، قد يحدث مرة فى الشهر أو السنة فيغتنمها فرصة لبث ما فى عواطفهن المكبوتة ، والمعبرة عن الشيء المفقود كالناظر الى صورة النهر والثلوج فى قيلولة شمسها محرقة فلا النهر بشارب من مائه ولا الثلوج بملطفة لحرارة الجو ، ومع ذلك فهو مستفيد بالنظر لهذه الصورة من الناحية النفسية لأن المنظر به ما ترتاح اليه نفسه وما تتلهف له أنظاره وأفكاره ، فتناول مثل هذه الالوان وتسجيلها فى اسطوانات لتدر على أصحابها الربح ، تتجلى خطورتها فى انها بمرور الزمن قد تكون لدى سامعيها تصورا خاطئا وفكرة سيئة عن الأدب الشعبى بما فيه ، الرصين والمفعم بالقيم النبيلة ، والفرق بين أن نقرأ أو نستمع الى امنيات ذلك

البدوى الذى امتزجت أحاسيسه الطيبة بطبيعة وبساطة من شبوا فوق أرضنا الكريمة المعطـاء وبـين ان نجـارى ذلك الذى عمته الماديات الطاغية فاصبـح لا يميل الا لما يدغدغ عواطفه ويتفق وطيش غرائزه الجائعة .

فالاول نراه يصوغ امنياته فى قالب شعـرى متضمنـا هدفا اجتماعيا مثال ذلك :

يا ريت خوتـــى ثلاثين
وأولاد عمـــى بزايد
لا ياكلـــوا لقمـــة الدين
ولا يلبســـو جرد بايد

❊ ❊ ❊

ويقول الاخر :

ليلـــة مع سود الهـــذب نقضيها
خـــير من كنـــوز قبيلتـــى تغنيها
أو ـ هويتهـــم شبـــح بالعين
دواوير بـــين النزالى

يا ريتنـــى نساهـــم دين
نطلـــب ولا يعطـــا لى

فالأول يريد أن تتكاثر اعداد بنى قومه وهـو فى هذا متشعباً بروحيات الاســلام الــداعية الى الوحـــدة والتماسك . وهذه الصفة الروحية قد اعطت ما يضمـن لانشاده القبول الحسن ، فهو بجانب امنياته بأن تتكاثر بنو عمومته الا ان المغزى العميق فى هذه الأمنية ان يكون الصف قويا قادرا على دحر كيد الاعداء .

وهذا ما تدلنا عليه الابيات :

يا ريت خوتـــى ثلاثين
واولاد عمـــى بزايد
لا يأكلـــوا لقمـــة الدين
ولا يلبســـو جرد بايد

* * *

لعلمـه ان الـــدين مذلـــة والعـــراء نقيصـــة فى حق

الانسان . . والفرق بين الامنيتين جد كبير ، فواحـد لا يهمه ان تذل الجماعة التى بينها حبيبتـه بالـدين وضنـك الحياة فى سبيل ان يتردد عليهم لمطالبتهم بما له عليهم لكى يرى من أحبها ذلك الحب الزائف ، فالحب تسامح وأمل وصبر وتضحية من أجل الاخرين ، فالأم التى تمنع ابنها من الذهاب لتأدية أى واجب وطنى خوفـا عليه ، فهـى تحبه .

ولكنه حب يختلف عن حب الام التـى تزغـرد عنـد سماعها أو مشاهدتها لابنها وهو يسقط شهيدا فى معركة الشرف دفاعا عن الوطن والـدين والمبـادىء الطاهـرة . فالأولى تحب ابنها والثانية تحب ابنهـا والفـرق كبـير بن الحبين ، أقول خزينة الوجدان الشعبى تحوى كل ألوان المعرفة .

وعلينا انتقاء ما يستحق الصقل والتدوين .

وبهذا المقياس يمكن أن يقاس الأدب الشعبى بألوانه .

وفروعه المتعددة ، كله نابع من الشعب ، ولكن منه الجيد والفج ، والتافه والرصين ، والدال على الحكمة والاصالة ، وهذا المطلوب أن تتبناه وسائل الاعلام بعد غربلة ما لا يتمشى وأهدافنا وامالنا وعرفنا الاجتماعى .
فنظرة على بعض قصائدنا وحكاياتنا ومأثوراتنا الشعبية عامة ، يلقى فيها المتأمل لمعانيها بأنها خواطر بسيطة صادقة تفيض بالحب والود والتسامح والصبر والايمان والارتباط بالأرض والفخر والاعتزاز بالنفس . فهذا يمجد الوطن وذاك يتغنى بشعبه وبطولاته وعروبته وآخر يؤمن بالقدر وغيره يسخر منه وواحد يجنح للخيال ورفيقه لا يستهويه رنين الأوهام ولا تستعذب نفسه عدا النغمات التى تستمد موسيقاها من الواقع . فملاحم الشعر الشعبى لا تقل عن معلقات الفصحى جودة ولا سلاسة ، بل لقد سجل تاريخ الشعر فى أزمانه القديمة والحديثة أن المعرفة الشعبية قد أدت ما أداه الفصيح من أغراض وخاضت ما خاضته اللغة العربية من مجالات .

فالمؤرخ لشاعر الربابة يجده يتبارى مع ناظم الفصيح ، فما ينبذ قهر الانسان للانسان وتصوير وحبك القصة التى تحكى الصمود والاستبسال فى سبيل المبادىء النبيلة والمثل الرفيعة ، وسواء على مستوى الجماعة أو الوطن الكبير فالملامح المشتركة فى الثقافة الشعبية العربية بارزة واضحة للعيان مع ملاحظة أن هناك بيئة ثقافية فرعية ، داخل كل قطر عربى وهى مع التسليم بوجودها الا أنها لا تمثل نسبة تذكر بين ما تحمله وجدانات الناس من ثقافة شعبية يبدو فيها الوحدة والترابط واضحين ، هذان نوعان جادان من الأدب الشعبى يجب أن نتناولهما بالدراسة ونسلط عليهما الضوء ولنرى التشابه الذى يربط بينهما ، فالحكايات الشعبية والاغنية الروائية والملحمية صنفين جادين من أدب الشعب يصوران تجربة الانسان الحية فى صراعه مع الطبيعة ووقوفه شامخا أقوى من نوائب الزمن . يقول الاستاذ على مصطفى المصراتى[1] فى كتابه

---

(1) على مصطفى المصراتى . . كاتب وصحفى ومؤرخ من ليبيا .

المجتمع الليبى من خلال أمثاله الشعبية . « ذاك اللـون من الادب الذى لم تفسده الاصباغ ولن ترهقه البلاغة المتكلفة . هو تراث صادر عن حياة الشعـب معبـر عن خلجاته ، كيف ترى المجتمع فى ليبيا من خلال الأمثال الشـعبية ، كيف كانـت الأمثــال البسيطــة مرآة صافية تنعكس عليها نفسية الناس » وما يقال عن الأمثال ينطبق على كثير من نصوص الادب الشعبى ، ولا نريد أن نعطى تعريفـا بالاغنية الـروائية والملحمية أكثـر من أنهـا أحـد الألــوان التــى حظيت من قبــل الجمعية الانجليزية للفولكلـور بالاهتمام الكبـير وقـد انحصرت على اغانـى البلد ، مناقشـات ودراسـات وبحـوث بعض أعضائهـا وهى فى مستهل نشأتها واوج حماس مؤسسيها .

الاغنية الروائية جديرة بالاهتمام والتأمـل ، والأمثـال الشعبية أيضا هناك منها الساخر الهـازل الناقـد فى نفس الوقت ، ومنها الصريح الصادر عن التجربـة وخلاصـة المعانـاة التـى عاشهـا الفـرد أو الفـرد والجماعـة معـا ،

والحكايات الشعبية غنية عن التعريف بها فهى تصور المجتمع وقيمه بكل أبعادها ومعانيها . لم تترك موضوعا انسانيا أو اجتماعيا الا وطرقته وصورته بالكلمة المنثورة الممزوجة بالشعر أحيانا فهى الجنينة التى حوت كل بذرات الشوك والازهار الفواحة .

وربما يجول بخلد القارىء الكريم سؤال . . ما هى محتويات هذا الكتاب الذى بين ايدينا ومصادر الباحث ، والقضايا التى ناقشها والنتيجة التى قد توصل اليها ؟

ونجيب بالآتى :

أولا ـ لقد كانت مصادرى الرواة ـ الشعب الحامل لهذه الثقافة ـ لم اكتف بالصورة التى نقلت عن الأصل ، طالما الاصل بين يدى ومع ذلك سعيت ما استطعت للحصول على بعض التدوينات القديمة للادب الشعبى أو « الفولكلور » العربى فى ليبيا بصفة عامة لاتبين مدى التغيير الذى يمكن أن يكون قد طرأ على بعض ملامح

ثقافتنا الشعبية . ولكننى لم أعثر على ما كنت اهدف الى العثور عليه . . ولا يؤخـذ قولى هذا حجـة للتقليل من قيمة الكتابات والكتب التى تناولت هذا المجـال باقـلام المحدثين ، وقد تضمن بحثـى هذا اشـارات وتنويهـات واستدلالات بالمصادر الآتية :

1 ـ كتاب علم الفلكلور لملفه « الكسندر هجرتى كراب » والذى ترجمه الاستاذ رشدى صالح .

2 ـ كتاب الحكايات الشعبية للاستاذ الدكتور عبد الحميد يونس .

3 ـ كتاب قراءات ليبية وكتاب نصوص ليبية للاستاذ على فهمى خشيم .

4 ـ من مقالات السيدة خديجة الجهمى . . « المرأة بـين الأمس واليوم » .

5 ـ كتاب معجم البلدان الليبية للاستـاذ الطاهـر أحمـد الزاوى .

6 ـ كتاب الأدب الشعبى فى ليبيا للاستاذ محمد سعيد القشاط .

7 ـ كتاب طرز الحكايات الشعبية ، للعالم الأمريكى ستيت طومسون .

8 ـ كتاب عشر سنوات فى بلاط طرابلس لريتشارد توللى

9 ـ كتاب نهاية الارب فى فنون الادب للاستاذ جمال الدين أحمد عبد الوهاب .

10 ـ من بحوث مركز الفنون الشعبية بالقاهرة « عادات وتقاليد » الزواج فى محافظة الشرقية والعادات والتقاليد والرقصات لدى قبائل البشارية .

11 ـ بعض الكتابات التى تناولت المعرفة الشعبية مثل حكاية (البدوى والحضرى) التى نشرت بجريدة الثورة الليبية .

12 ـ كتاب الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبية

للدكتور محمد محمود الجوهرى ، والأستاذ عبد الحميد حواس ، والدكتورة علياء شكرى .

13 ـ الأغانى الشعبية فى فلسطين ، هانى العمد .

ومرة أخرى أقول أن أهم مصادر هذا البحث هى المادة التى استقيتها من أفواه الرواة خلال معايشتى للجماعات الحاملة لها ، أثناء عملية العمل الميدانى وخلال معايشتى معايشة دائمة بين الكثير من هؤلاء الرواة بحكم انى فرد منهم دينا ودما ووطنا ، وقد كانت طريقة جمعى لهذه النصوص وفق الطرق العلمية الصحيحة المتفق عليها لدى باحثى وجامعى « الفولكلور » . واضافة للتأكيد أن هذه النصوص من الأدب الشعبى وغيرها من المأثورات قد دونت من أفواه أصحابها أثناء لقاءاتى معهم دون ما تحريف أو اضافة لها أو الحذف منها .

ثانيا ـ نتائج البحث التى توصلت اليها :

1 ـ تداخل الادب الشعبى فى المعتقد والمعتقد فى الادب الشعبى وهو سر من أسرار صيرورة هذه الثقافة الشعبية .

2 ـ العادات والتقاليد دستور الجماعة الدائم وأقوى الدساتير شمولا ونفاذا ومرونة وأصلحها للبقاء . فعلى صائغى تشريع القوانين الوضعية الانتباه الى هذه النقطة وعلى ضوئها يمكن لهم الاجادة بما يجود بالنفع ويخدم الشعب .

3 ـ فى ثقافة الشعب دعوة للتماسك والترابط والاخاء وهذا ما لمسته فى العادات والتقاليد وشعر الغربة ونظام العرف التعاونى مثل الرغاطة وغيرها .

4 ـ لكل بيئة ثقافة فرعية حقيقة ثابتة لا جدال فيها ، ولكن الوحدة الثقافية بين ابناء الوطن العربى قائمة فى أهم عناصر ثقافتنا الشعبية التى هى أكثر التصاقا لحياتنا واقربها الى نفوسنا واحبها الى قلوبنا . وهذا ما سيجده

القـارىء فى هذا البحـث فى كلمات الامهـات لتهنــين الاطفال وما يصحب العـادات والتقـاليد والمعتقـدات ، ومناسبة الميلاد والختان والزفـاف وفى كثـير من نصـوص الأدب الشعبى فى ليبيا ومصر .

5 ـ علاقــة الليبيين بالجياد ـ علاقــة قديمــة قدم الحياة نفسها .

6 ـ هناك بعض العناصر الغريبة فى ثقافة الشعب فأنظـر الى حديثنا عن حكاية الديك يحتل البلاد وتقييمنا لبعض الأمثال الشعبية وتعرضنا لثقافة اليهود .

7 ـ دعوتنا للاهتمام بهذه المأثورات واهميتها وما يجب أن نسلكه من طرق تجـاه العنـاية بهـا حفاظـا على اصالتنـا وعروبتنا وتراثنا الخالد .

8 ـ لم تكن وظيفة الأدب الشعبى ملئـا للفـراغ بل هى وظيفة عملية وتربوية وثقافية واعلامية .

وأخيرا بقى أن يعرف القارىء الكريم ان هذا الجهد

المتواضع هو جهد فردى فان اخطأت أو جانبنى الصواب فلا يجب أن يحسب ذلك الا علي وان وفقت كفى وطنى وعروبتى اننى فرد من أبنائها المخلصين .

وفقنا الله لما فيه الخير . . . . .

فهرس

الموضوع	رقم الصفحة


ثمن بيع النسخة للمؤسسات
الرسمية 600 درهم

صدر من سلسلة كتاب الشعب

لسنة 1391 من وفاة الرسول 1982 م

1 ـ الغربان وجوقة الجياع ـ حالة حصار بلا مناسبة (مسرحيتان) البوصيرى عبد الله

2 ـ المسرح الذى نريده — محسن خياط

3 ـ اسرار القواعد البريطانية فى ليبيا — علي شعيب

4 ـ رموز الهزيمة فى الثقافة العربية — فوزى البشتى

5 ـ صور من جهاد الليبيين فى فلسطين سنة 48-49 — السنوسى شلوف

6 ـ الأرهاب الأمبريالى — محمد المصرى

7 ـ فصائل ادم بن الطيب والقضاء — محمد يوسف الجاسم

8 ـ عرب البرازيل — عبد اللطيف بوكر

9 ـ اواكس طرواده — فارس قويدر

10 ـ تطور التعليم العالمى فى كل الحضارة الاسلامية — د. عمر التومى الشيبانـي

11 ـ الكيمياء والدواء — محمد فهمى زعتر

12 ـ عبقرية العرب فى لغتهم الجميلة — د. محمد التونجى



الثمن

300 درهم